غِراسُ الجنَّةِ

في

شَرْحِ أُصُولِ السُّنَّةِ

لإمامِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ

أحمدَ بنِ محمَّدِ بنِ حنبلٍ الشَّيبانيِّ

١٦٤ - ٢٤١ هـ

شرح الشيخ العلامة

عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

ومدرس الفقه على طلبة العلم الشرعي بالمدينة النبوية

أعده واعتنى به بإذن من الشيخ

علي الشتري العراقي

دار الإمام أحمد

غراس الجنة

في

شرح أصول السنة

الطبعة الثانية

دار الإمام أحمد

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

رقم الايداع بدار الكتب المصرية: 2011/20623
رقم الايداع الدولي: 3- 70-5004-977-978

6شارع عزيز فانوس من منشية لتحرير من جسر السويس - القاهرة - جمهورية مصر العربية
تليفون/ 0020222414248 تليفاكس/ 0020226365638 جوال/ 0020106014978
www.DarAlemamAhmad.com

فرع الازهر: 11 أ درب الاتراك - خلف الجامع الازهر
جوال : 0020105264020 هاتف : 002022510297

E.MAIL:DAR_ALEMAM_AHMAD@YAHOO.COM

غِراسُ الجَنَّةِ

في

شَرحِ أُصُولِ السُّنَّةِ

لإمامِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ

أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حَنْبَلٍ الشَّيْبانيّ

١٦٤ - ٢٤١ هـ

شرحُ الشيخِ العلّامةِ

عُبيد بن عبد الله بن سُليمان الجابري

دروس ألقيت على طلبة العلم العراقيين بالمدينة النبوية

أعدّه واعتنى به بإذنٍ من الشيخ

علي الشمّري العراقي

دارُ الإمامِ أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الرموز المستخدمة

خ: البخاري.
م: مسلم.
د: أبو داود.
ت: الترمذي.
ن: النسائي.
جه: ابن ماجه.
حم: أحمد.
ك: المستدرك للحاكم.
حب: ابن حبان.
طب: الطبراني الكبير.
طس: الطبراني الأوسط.
طص: الطبراني الصغير.
ش: أبو شيبة.
عب: عبد الرزاق.
ع: أبو يعلىٰ.
قط: الدارقطني.
حل: الحلية لأبي نعيم.
هق: البيهقي في السنن.
هد: البيهقي في دلائل النبوة.
هب: البيهقي في شعب الإيمان.
طي: الطيالسي.
دار: الدارمي.
ج ص: الجامع الصغير.
مج ز: مجمع الزوائد.

مشكل آ ط: مشكل الآثار للطحاوي.

ته آ ط: تهذيب الآثار للطحاوي.

إبك: الإبانة الكبرىٰ لابن بطة.

س ص: السلسلة الصحيحة للألباني.

ص ج: صحيح الجامع للألباني.

ص د: صحيح أبي داود للألباني.

ص ت: صحيح الترمذي للألباني.

ص غه: صحيح الترغيب والترهيب للألباني.

مش: الألباني في مشكاة المصابيح.

ظج: الألباني في ظلال الجنة.

ث م: الثمر المستطاب للألباني.

آداب ز: آداب الزفاف للألباني.

مُقدمة الْمُعتني

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[(١)].

---

(١) ت (١١٠٥)، د (٢١١٨)، ن (١٤٠٤)، ك (٢٧٤٤)، هق (٥٥٩٣، ١٣٦٠٤)، حم =

وبعد:

لا شك أن حلمًا كبيرًا يراود كل طالب علم؛ وهو لقاء العلماء الربانيين في زمانه، وكم كنا نحلم نحن في العراق بمثل هذه اللقاءات، ولكن الخروج من البلد لم يكن سهلًا في ذلك الوقت، ولقد مضىٰ الأئمة الثلاثة ابن باز والعثيمين والألباني -رحمة الله عليهم جميعًا- إلىٰ ربهم دون أن تكتحل أعيننا برؤيتهم، نسأل الله أن يجمعنا بهم في دار كرامته.

لكن في هذا الوقت أصبح الخروج من البلد أمرًا يسيرًا، فسارعنا إلىٰ لقاء العلماء الأفاضل، ومن هؤلاء العلماء الذين مَنَّ اللهُ علينا بلقائهم وأقرَّ أعيننا برؤيتهم والأخذ عنهم فضيلة الوالد الشيخ عبيد الجابري -حفظه الله، وجزاه الله عنَّا خير الجزاء-.

فقد حقق لنا هذا المقصد الكبير الذي نصبو إليه، وهو الأخذ من العلماء ومجالستهم ومشافهتهم، فقد نقل ابن عبد البر عن أبي الدرداء ﵁ أنه قال: «من فقه الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه مع أهل العلم»(١).

وكذلك نقل عن أبي حنيفة ﵀ أنه قال: «الحكايات عن العلماء

=

(٣٧٢٠، ٤١١٥)، الدار (٢٢٠٢)، طب (١٠٠٨٠)، طس (٢٤١٤)، مجز (٧٥٣١)، كنز (٤٣٦١٨)، طي (٣٣٨)، ش(١٧٥٠٨)، عب (٢٠٢٠٦)، مشكل آط (١)، إبك (١٤٧٥).

(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر، برقم (٥٩٧).

ومجالستهم أحب إلي من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم»(١)، المقصد الذي رغب فيه رسول الله ﷺ، وكان عليه سلف الأمة الصالح وأهل العلم والفضل.

فكل هؤلاء العلماء أخذوا العلم ورووا الأحاديث عن أشياخهم، وكان أحدهم يرحل الرحلات الطويلة أيامًا وشهورًا طلبًا للعلم من أهله، والرواية عن أهل الحديث مشافهة، فقد نقل ابن عبد البر أثرًا عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه قال: «كان يبلغني الحديث عن الرجل من أصحاب النبي ﷺ فلو أشاء أن أرسل إليه حتىٰ يجيء فيحدثني فعلت، ولكني كنت أذهب إليه فأقيل علىٰ بابه حتىٰ يخرج إلي فيحدثني»(٢).

ونقل كذلك عن سعيد بن المسيب(٣) رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد»(٤).

---

(١) المصدر السابق برقم (٥٩٥).

(٢) المصدر السابق برقم (٤٢٢).

(٣) سعيد بن المسيب، الإمام شيخ الإسلام، فقيه المدينة، أبو محمد المخزومي، أجلُّ التابعين، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر وسمع من عمر شيئًا وهو يخطب، وسمع من عثمان وزيد بن ثابت وعائشة وسعد وأبي هريرة رضي الله عنهم، وخلق، وكان واسع العلم وافر الحرمة متين الديانة قوالًا بالحق فقيه النفس، روىٰ أسامة بن زيد عن نافع أن ابن عمر قال: سعيد بن المسيب هو واللهِ أحد المُفتين.

(٤) «جامع بيان العلم وفضله» (٤٢٤).

ونقل أيضًا عن الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه قال لصالح بن صالح بعد أن حدثه حديثًا: «أعطيكه بغير شيء، وإن كان الراكب ليركب إلىٰ المدينة فيما دونه»(١).

والرجوع إلىٰ العلماء أصل من أصول أهل السنة والجماعة؛ دلَّ عليه الكتاب والسنة، فمن كتاب الله قوله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء:٧، النحل:٤٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:٨٣].

ومن نفائس القول في الإرشاد إلىٰ هذا الأصل العظيم من أقوال السلف الصالح؛ قول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحمد للهِ الذي جعل في كل زمانٍ فترةٍ من الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلىٰ الهدىٰ، ويصبرون منهم علىٰ الأذىٰ، يحيون بكتاب الله الموتىٰ، ويبصرون بنور الله تعالىٰ أهل العمىٰ.

فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم علىٰ الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تعالىٰ تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين الذين عقدوا

---

(١) المصدر السابق (٤٢٧).

ألوية البدعة، وأطلقوا عِنَان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون علىٰ مخالفة الكتاب، يقولون علىٰ الله تعالىٰ، وفي الله تعالىٰ، وفي كتاب الله تعالىٰ بغير علم.

يتكلَّمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون الجُهال بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين»(١).

وقد وصف الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ العلماء بأنهم سند دعوة أهل السنة والجماعة بقوله: «إن من عوامل بقاء الدعوة تعاقب الدعاة لها ما تعاقبت الأيام، ومنذ أن أكرم الله تعالىٰ هذه الأمة وصوت الداعي مدوِّيًا في أفق المدعوِّين إلىٰ أن أكمل الله الدين وأتمَّ النعمة، ثم توالىٰ الدعاة من خلفاء الرسول ﷺ إلىٰ من بعدهم من دول أو مصلحين موجهين، آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، وذلك عملًا بالأصل القويم في قوله تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

فكلما خيَّمت سحب البدع، واحلولكت ظُلم الجهالة، وخاض الناس لجج الباطل أيَّد اللهُ تعالىٰ لهذه الأمة رجالًا يدعون إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ بصيرة، ينيرون الطريق، ويُظهرون الحق، ويحيون السنة، ويحاربون البدعة،

(١) «اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية» (١/ ٥٨).

حتىٰ يطهر الله علىٰ أيديهم البلاد وينقذ بدعوتهم العباد، وهذا من تمام النعمة، وسعة الفضل من الله تعالىٰ علىٰ عباده»[١].

وطالب العلم في كل زمان لابد له من معرفة علماء أهل السنة والجماعة وطلب العلم عندهم، ولاسيما ونحن نعيش في زمان كثرت فيه الفتن وتشابكت، وكثر الدعاة إليها وزخرفت الأقوال وبهرجت البدع ولبس أهلها لباس السنة؛ حتىٰ خفي أمرها علىٰ كثير من الناس إلا من رحم ربي، فأصبح الرجوع إلىٰ العلماء العاملين ضرورة مُلحَّة، فبالرجوع إليهم ينكشف كثير من الدَّخَن، وينجلي الغبار عن كثير من المحن، فإذا هي بعد بيانهم لها واضحة جليَّة لكل من كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد.

ولعل من أعظم أسباب الفوضىٰ العارمة، وهذا التخبُّط والحيرة عند كثير من الشباب وطلَّاب العلم هو عدم الرجوع إلىٰ العلماء الرَّاسخين الذين يجب الرجوع إليهم والأخذ عنهم.

ومن هذه الأسباب أيضًا أن كثير منهم لا يُميِّز بين العلماء الراسخين وبين طلبة العلم والدعاة والوعاظ، وقد نبَّه الشيخ محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله- إلىٰ هذا الأصل وهو معرفة طبقات العلماء فقال: «لابد لطالب

---

(١) «الإمام محمد بن عبد الوهاب، دعوته وسيرته» لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محاضرة ألقاها في عام ١٣٨٥هـ، حينما كان نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

العلم أن يعرف طبقات العلماء، كما عرف العلماء وعرفوا بطبقات العلماء والأئمة، وطبقات الحفَّاظ، وطبقات الأئمة المجتهدين في المذهب والمجتهدين اجتهادًا مطلقًا، ومن عُرفوا بالفتوىٰ بالمذهب ومن عُرفوا ... إلخ.

فلابد أن تعرف ذلك، تعرف العالمين بالفتن والمختصين بتعلمها، هذا أصل موجود في الشرع والنبيﷺ خصَّ حذيفة بالفتن»[1].

وهذه المسألة دين، والناظر في أقوال السلف الصالح يجدها ترشد إليها، فهذا ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: «إن هذا العلم دين فانظروا عمَّن تأخذون دينكم»[2].وعنه أيضًا: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد؛ فلما وقعت الفتنة قالوا سمُّوا لنا رجالكم؛ فينظر إلىٰ أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلىٰ أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»[3].

فما أحوج الناس اليوم إلىٰ الرجوع إلىٰ العلماء الراسخين؛ الذين هم علىٰ الجادة العاملين بالسنة والداعين إليها والذابين عنها، كما أمرنا ربنا سبحانه وعملًا بالأصل الذي أرشدنا إليه رسول الله ﷺ كما في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في الفتن قال:«كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن

---

(١) نقلًا من شريط «أهمية معرفة العلماء»، وهو مفرغ ضمن مجموعة رسائل منهجية للشيخ، قام بتفريغها أخونا الشيخ حسن العراقي، نسأل الله أن يعينه علىٰ إتمامها ونشرها.

(٢) م (١/ ١٢)، دار (٤١٩)، (٤٢٤)، ش (٢٦٦٣٦)، «معرفة السنن والآثار» للبيهقي (٢١).

(٣) م (١/ ١٢)، حل (٢/ ٢٧٨).

الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله، إنَّا كنَّا في جاهلية وشر؛ فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال: **نعم.**

قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: **نعم وفيه دخن.**

قلت: وما دخنه؟

قال: **قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر.**

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: **نعم دُعاة علىٰ أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها.**

قلت: يا رسول الله، صفهم لنا.

قال: **هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.**

قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

قال: **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.**

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال: **فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعضَّ بأصل شجرة حتىٰ يدركك الموت وأنت علىٰ ذلك**»[1].

---

(١) متفق عليه، خ (٣٤١١)، م (١٨٤٧).

فنحن مأمورون بلزوم الجماعة التي علىٰ الحق -وعلىٰ رأسها علماؤها الربانيون-، واعتزال الفرق التي خالفت الجماعة وإن كانوا يتكلمون بألسنتنا ومن جلدتنا، وما أكثرهم اليوم، ومن ذا الذي يكشفهم لنا ويميزهم إن لم يكن العلماء؟

فلنتنبه، نسأل الله أن يوفقنا للزوم الجماعة والعمل بالسنة، ونسأله الإخلاص في العلم والعمل وأن يجنبنا آفاتهما؛ فإن لهما آفات.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما العلم فآفته: عدم مطابقته لمراد الله الديني الذي يحبه الله ويرضاه، وذلك يكون من فساد العلم تارة ومن فساد الإرادة تارة، ففساده من جهة العلم أن يعتقد أن هذا مشروع محبوب لله وليس كذلك، أو يعتقد أنه يقربه إلىٰ الله وإن لم يكن مشروعًا فيظن أنه يتقرب إلىٰ الله بهذا العمل وإن لم يعلم أنه مشروع.

وأما فساده من جهة القصد: فألا يقصد به وجه الله والدار الآخرة، بل يقصد به الدنيا والخلق.

وهاتان الآفتان في العلم والعمل لا سبيل إلىٰ السلامة منهما إلا بمعرفة ما جاء به الرسول في باب العلم والمعرفة، وإرادة وجه الله والدار الآخرة في باب القصد والإرادة، فمتىٰ خلا من هذه المعرفة وهذه الإرادة فسد علمه وعمله.

والإيمان واليقين يورثان صحة المعرفة وصحة الإرادة.

وهما يورثان الإيمان ويمدَّانه، ومن هنا يتبين انحراف أكثر الناس عن الإيمان، لانحرافهم عن صحة المعرفة وصحة الإرادة، ولا يتم الإيمان إلا بتلقي المعرفة من مشكاة النبوة وتجريد الإرادة عن شوائب الهوىٰ وإرادة الخلق؛ فيكون علمه مقتبسًا من مشكاة الوحي وإرادته لله والدار الآخرة؛ فهذا أصح الناس علمًا وعملًا، وهو من الأئمة الذين يهدون بأمر الله ومن خلفاء رسوله في أمته»[١].

ورغبة منِّي في خدمة العلم والعلماء، فقد استأذنت شيخنا في إعداد هذا الشرح ونشره، وأصله دروس ألقاها علينا الشيخ الوالد عبيد الجابري -حفظه الله- في المدينة النبوية عام ١٤٣١، والتي حاول اختصارها نظرًا لقصر مدة إقامتنا في المدينة.

نسأل الله أن يهدي من ضلَّ من المسلمين، ويثبتنا وإياهم علىٰ الحق، وأن يتقبل منا صالح الأعمال، وأن يحفظ علىٰ السنة علماءنا، وأن يجعلنا وإياهم من خواص أهلها، ويرحم من مات منهم ويجمعنا بهم في جنات النعيم.

وصلِّ اللهم علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

وكتب

علي العراقي

---

(١) «الفوائد» لابن القيم (١/ ٨٥).

ترجمة الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اسمه ولقبه:

أحمد بن حنبل؛ شيخ الإسلام وسيد المسلمين في عصره؛ الحافظ الحجة؛ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلي الشيباني المروزي، ثم البغدادي.

مولده:

جيء به من مروٍ حملًا وولد سنة أربع وستين ومائة.

نسبه:

عن عبد الله بن أحمد ثنا أبي أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط ابن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكامة بن صعب بن علي بن وائل ابن قاسط بن هنب بن أفصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ابن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن حمل بن النبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

شيوخه:

طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، في العام الذي مات فيه مالك، وحماد بن زيد، فسمع من إبراهيم بن سعد قليلًا، ومن هشيم بن بشير فأكثر، ومن عباد بن عباد المهلبي، ومعتمر بن سليمان التيمي، وسفيان بن عيينة الهلالي، وأيوب بن النجار، ويحيىٰ بن أبي زائدة، وعلي بن هاشم بن البريد، وقران بن تمام، وعمار بن محمد الثوري، والقاضي أبي يوسف، وجابر بن نوح الحماني، وعلي بن غراب القاضي، وعمر بن عبيد الطنافسي، وأخويه يعلىٰ، ومحمد، والمطلب بن زياد، ويوسف بن الماجشون، وجرير بن عبد الحميد، وخالد بن الحارث، وبشر بن المفضل، وعباد بن العوام، وأبي بكر ابن عياش، ومحمد بن عبد الرحمن الطفاوي، وعبد العزيز بن عبد الصمد العمي، وعبدة بن سليمان، ويحيىٰ بن عبد الملك بن أبي غنية، والنضر بن إسماعيل البجلي، وأبي خالد الأحمر، وعلي بن ثابت الجزري، وأبي عبيدة الحداد، وعبيدة بن حميد الحذاء، ومحمد بن سلمة الحراني، وأبي معاوية الضرير، وعبد الله بن إدريس، ومروان بن معاوية، وغندر، وابن علية، ومخلد بن يزيد الحراني، وحفص بن غياث، وعبد الوهاب الثقفي، ومحمد ابن فضيل، وعبد الرحمن بن محمد المحاربي، والوليد بن مسلم، ويحيىٰ ابن سليم حديثًا واحدًا، ومحمد بن يزيد الواسطي، ومحمد بن الحسن المزني الواسطي، ويزيد بن هارون، وعلي ابن عاصم، وشعيب بن حرب،

ووكيع فأكثر، ويحيىٰ القطان فبالغ، ومسكين بن بكير، وأنس بن عياض الليثي، وإسحاق الأزرق، ومعاذ بن معاذ، ومعاذ بن هشام، وعبد الأعلىٰ السامي، ومحمد بن أبي عدي، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الله بن نمير، ومحمد بن بشر، وزيد بن الحباب، وعبد الله بن بكر، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأبي عاصم، وعبد الرزاق، وأبي نعيم، وعفان، وحسين بن علي الجعفي، وأبي النضر، ويحيىٰ بن آدم، وأبي عبد الرحمن المقرئ، وحجاج ابن محمد، وأبي عامر العقدي، وعبد الصمد بن عبد الوارث، وروح بن عبادة، وأسود بن عامر، ووهب بن جرير، ويونس بن محمد، وسليمان بن حرب، ويعقوب بن إبراهيم بن سعد، وخلائق إلىٰ أن ينزل في الرواية عن قتيبة بن سعيد، وعلي بن المديني، وأبي بكر بن أبي شيبة، وهارون بن معروف، وجماعة من أقرانه.

فعدة شيوخه الذين روىٰ عنهم في «المسند»: مائتان وثمانون ونيف.

تلاميذه:

حدث عنه البخاري حديثًا، وعن أحمد بن الحسن عنه حديثًا آخر في المغازي.

وحدث عنه مسلم، وأبو داود بجملة وافرة، وروىٰ أبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه عن رجل عنه، وحدث عنه أيضًا ولداه صالح وعبد الله، وابن عمه حنبل بن إسحاق، وشيوخه عبد الرزاق، والحسن بن موسىٰ

الأشيب، وأبو عبد الله الشافعي، لكن الشافعي لم يسمه، بل قال: حدثني الثقة.

وحدَّث عنه علي بن المديني، ويحيىٰ بن معين، ودحيم، وأحمد بن صالح، وأحمد بن أبي الحواري، ومحمد بن يحيىٰ الذهلي، وأحمد بن إبراهيم الدورقي، وأحمد بن الفرات، والحسن بن الصباح البزار، والحسن ابن محمد بن الصباح الزعفراني، وحجاج بن الشاعر، ورجاء بن مرجىٰ، وسلمة بن شبيب، وأبو قلابة الرقاشي، والفضل بن سهل الأعرج، ومحمد ابن منصور الطوسي، وزياد بن أيوب، وعباس الدوري، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وحرب بن إسماعيل الكرماني، وإسحاق الكوسج، وأبو بكر الأثرم، وإبراهيم الحربي، وأبو بكر المروذي، وأبو زرعة الدمشقي، وبقي بن مخلد، وأحمد ابن أصرم المغفلي، وأحمد بن منصور الرمادي، وأحمد بن ملاعب، وأحمد ابن أبي خيثمة، وموسىٰ بن هارون، وأحمد بن علي الأبار، ومحمد بن عبد الله مطين، وأبو طالب أحمد بن حميد، وإبراهيم بن هانئ النيسابوري، وولده إسحاق بن إبراهيم، وبدر المغازلي، وزكريا بن يحيىٰ الناقد، ويوسف بن موسىٰ الحربي، وأبو محمد فوران، وعبدوس بن مالك العطار، ويعقوب بن بختان، ومهنىٰ بن يحيىٰ الشامي، وحمدان بن علي الوراق، وأحمد بن محمد القاضي البرتي، والحسين بن إسحاق التستري، وإبراهيم بن محمد بن الحارث الأصبهاني، وأحمد بن يحيىٰ ثعلب، وأحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي.

وإدريس بن عبد الكريم الحداد، وعمر بن حفص السدوسي، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي، ومحمد بن عبد، لقب محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي الحافظ، وعبد الله بن محمد البغوي، وأمم سواهم.

جوانب من حياته:

وكان أبوه جنديًّا من أبناء الدعوة ومات شابًّا، قال عبد الله بن أحمد: سمعت أبا زرعة يقول: كان أبوك يحفظ ألف ألف حديث ذاكرته الأبواب.

وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: حفظت كل شيء سمعته من هشيم في حياته.

وقال إبراهيم الحربي: رأيت أحمد كأن الله قد جمع له علم الأولين والآخرين، أخبرنا يوسف بن أحمد وعبد الحافظ بن بدران قالَا: أنا موسىٰ بن عبد القادر أنا سعيد بن أحمد أنا علي بن أحمد أنا أبو طاهر المخلص نا عبد الله البغوي نا أحمد بن حنبل وعبيد الله القواريري قالَا: ثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلًا أتىٰ النبيﷺ فقال: «يا نبي الله، إني شيخ كبير يشق علي القيام فمرني بليلة لعل الله يوفقني فيها لليلة القدر.

فقال: **عليك بالسابعة**». لفظ أحمد تفرَّد به معاذ.

قال حرملة: «سمعت الشافعي يقول: خرجت من بغداد فما خلفت بها

رجلًا أفضل ولا أعلم ولا أفقه من أحمد بن حنبل».

وقال علي بن المديني: «إن الله أيد هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الردة، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة».

وقال أبو عبيد: «انتهىٰ العلم إلىٰ أربعة؛ أفقههم أحمد».

وقال ابن معين من طريق عباس عنه: «أرادوا أن أكون مثل أحمد، والله لا أكون مثله أبدًا».

قال أبو همام السكوني: «ما رأىٰ أحمد بن حنبل مثل نفسه».

وقال محمد بن حماد الطهراني: «سمعت أبا ثور يقول: أحمد أعلم -أو قال:- أفقه من الثوري».

قلت: سيرة أبي عبد الله قد أفردها البيهقي في مجلد، وأفردها ابن الجوزي في مجلد، وأفردها شيخ الإسلام الأنصاري في مجلد لطيف.

وفاته:

توفي إلىٰ -رضوان الله تعالىٰ- في يوم الجمعة ثاني عشر ربيع الأول سنة إحدىٰ وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة.

ترجمة مختصرة للشيخ عبيد الجابري

نسبه وولادته ونشأته وحياته العلمية:

هو عبيد بن عبد الله بن سليمان الحَمداني الجابري، وبنو جابر من قبائل حرب الحجاز.

كانت ولادته في قرية «الفقير» بوادي «الفرع» بمنطقة المدينة النَّبوية، وذلك عام ١٣٥٧هـ.

وفي عام ١٣٦٥هـ انتقل مع والده إلىٰ «مهد الذهب»، وهناك تلقىٰ مراحل التعليم الأولىٰ.

وفي عام ١٣٧٤هـ، استوطن بالمدينة، ولظروف عائلية انقطع عن الدِّراسة لفترة من الزَّمن.

ثمَّ في سنة ١٣٨١هـ استأنف الدِّراسة بدءًا بدار الحديث المدنية، فالمعهد العلمي، فكلية الشَّريعة بالجامعة الإسلاميَّة، وتخرَّج فيها عام ١٣٩٢هـ بتقدير امتياز، وكان الأوَّل علىٰ دفعته -حفظه الله-.

شيوخه:

أمَّا مشايخه، فكل مشايخه لهم الفضل بعد الله ﷻ في التَّربية والسلوك الحسن والتَّفقه في دين الله ﷻ، وهم كُثُر تتلمذ علىٰ أيديهم في دار الحديث وفي المعهد العلمي وفي كلية الشريعة في الجامعة الإسلامية، ولعل من أبرزهم فضيلة الشيخ العلَّامة المحدث عبد المحسن العبَّاد، وفضيلة الشيخ العلَّامة المحدِّث حمَّاد بن محمَّد الأنصاري.

أعماله:

كان إمامًا في مسجد «السبت» بالمدينة النَّبوية من عام ١٣٨٧هـ إلىٰ عام ١٣٩٢هـ.

مدرسًا في متوسطة «عمر بن عبد العزيز» بجدة من عام ١٣٩٢هـ إلىٰ عام ١٣٩٦هـ.

داعية في مركز الدَّعوة والإرشاد بالمدينة النبوية مع مساعدة مدير المركز في حضوره والنِّيابة عنه في غيابه من آخر عام ١٣٩٦هـ إلىٰ عام ١٤٠٤هـ.

مدرسًا في الجامعة الإسلامية من آخر عام ١٤٠٤هـ إلىٰ أول رجب من عام ١٤١٧هـ.

وعند ذلك أُحيل علىٰ التقاعد بموجب النِّظام، وخلال فترة وجود

الشَّيخ في الجامعة تحصَّل علىٰ شهادة الماجستير في التفسير.

مؤلفاته:

للشَّيخ عدة مؤلفات نذكر منها:

- تيسير الإله بشرح أدلة شروط لا إله إلَّا الله (مطبوع).

- تنبيه ذوي العقول السليمة إلىٰ فوائد مستنبطة من الستة الأصول العظيمة (نشر دار البخاري).

- إمداد القاري بشرح كتاب التفسير من صحيح البخاري.

- شرح منتقىٰ ابن الجارود (يسر الله إتمامه).

ثناء أهل العلم عليه:

أثنىٰ عليه جمع من أهل العلم منهم الشيخ ربيع بن هادي المدخلي والشيخ عبد المحسن العبيكان وغيرهم من أهل العلم والفضل.

ونذكر هاهنا ثناء الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي: «والله الذي يطعن فيه، ويقول أنه ليس بعالم هذا يتبع سبيل الشياطين ويتبع الطرق الحزبية في الطعن في علماء المنهج السلفي.

الشيخ عبيد من أفاضل العلماء السلفيين والمعروفين في الورع والزهد والقول بالحق -بارك الله فيكم-، وما يطعن فيه رجل يريد وجه الله -تبارك وتعالىٰ- وهذه الأساليب عرفناها من الحزبيين».

وقال أيضًا: «الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن تبع هداه.

أما بعد:

الشيخ عبيد مدِّرس كان في المعهد العلمي بالجامعة الإسلامية، والآن يدرس في فرع جامعة الإمام في المدينة النبوية، وهو رجل متمكن من التوحيد «من علوم التوحيد».

ومن السنة وقد قام بشرح «كتاب التوحيد»، أو كتاب «التفسير» للإمام البخاري شرحًا موسعًا شاملًا للعقيدة وغيرها، وله جهود عظيمة في مناصرة السنة، ويعتبر من كبار الرجال وعقلائهم ويمتاز بميزات لا توجد عند كثيرٍ من الرجال -بارك الله فيه-».

من صفات الشيخ:

الشيخ متواضع في ملبسه ومركبه ومسكنه، وقَّاف عند السنة لا يمنعه علمه ولا كبر سنه أن يقول فيما يظن أنه أخطأ فيه أن يقول أخطأت، من أمثلة ذلك أنه ذكر -حفظه الله- حديثًا وصحَّحه تبعًا للشيخ الألباني فذكَّره بعض الإخوة طلبة العلم أن الشيخ الألباني تراجع عن تصحيحه فقال -حفظه الله تعالىٰ-: «وأنا من الآن ارجع عن قولي في تصحيحه».

وهذا يدل علىٰ اعترافه لأهل هذا الشأن بالفضل ويدل علىٰ تواضعه.

لا يحب -حفظه الله- الألقاب (العالم أو العلَّامة أو صاحب الفضيلة)، وأذكر مثالًا لذلك لعله يكون عبرة لبعض المتعالمين (الذي يسمع ويرىٰ بعينيه وصف المغرورين به بأنه العلَّامة والمحدِّث وأمير المؤمنين في الحديث...).

مع ذلك لم نسمع أو نقرأ إنكارًا لذلك.

يقول الشيخ عبيد -حفظه الله- موجهًا ومعلمًا للأخ الذي وصفه بأنه علَّامة: «وأنا أشهد الله والملائكة بأني لست علَّامة إنما أنا عبيد بن سليمان الجابري هكذا سماني أبي». وهذا في محفل كبير من الحضور وطلبة العلم.

والشيخ -حفظه الله- مثالٌ للجد والنشاط، فلم يمنعه كبر سنه وفقد بصره مع مرضه وصومه أن يتوجه إلىٰ الطلبة في سكنهم، ويمكث معهم الساعات شارحًا لهم المتون العلمية؛ مجيبًا علىٰ أسئلتهم ثم يرجع إلىٰ منزله منشغلًا في التأليف والبحوث، مراجعًا الرسائل التي تقدم إليه للنظر فيها مع دروسه عبر وسائل الانترنت.

وكذلك حضور الدورات العلمية التي تقام في داخل البلاد وخارجها وأثناء رجوعه إلىٰ بيته تكون سيارته ممتلئة بطلبة العلم يقرءون عليه بعض المتون العلمية.

وهذه نبذ مختصرة من حياة هذا العالم الجليل الذي حق لي أن أصفه أنه من طراز الرعيل الأول علمًا وسمتًا وتواضعًا وهمةً وورعًا وزهدًا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

«أُصُولُ السُّنَّةِ عِندنَا: التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيهِ أَصحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالاقتِدَاءُ بِهِم، وَتَركُ البِدَعِ، وَكُلُّ بِدعَةٍ فَهِيَ ضَلَالَةٌ، وَتَركُ الخُصُومَاتِ وَالجُلُوسِ مَعَ أَصحَابِ الأَهوَاءِ، وَتَركُ المِرَاءِ وَالجِدَالِ وَالخُصُومَاتِ فِي الدِّينِ، وَالسُّنَّةُ عِندنَا: آثَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ القُرآنَ، وَهِيَ دَلَائِلُ القُرآنِ، وَلَيسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ، وَلَا تُضرَبُ لَهَا الأَمثَالُ».

الحمد لله، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

هذه المسألة مخصَّصة في أصول من الاعتقاد وليس في الاعتقاد كله، وهي معروفة عند أهل العلم برواية عبدوس بن مالك العطار[1]، هو الذي رواها عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي مروية عن عبدوس عن الإمام أحمد

---

(١) عبدوس بن مالك أبو محمد العطار حدث عن شبابه بن سوار وإسحاق بن يوسف الأزرق، وأحمد بن حنبل، ويحيىٰ بن معين، روىٰ عنه أبو إبراهيم أحمد بن سعيد الزهري وعبد الله بن أحمد بن حنبل، ومحمد بن سليمان المنقري البصري، وأبو عمارة محمد بن أحمد بن المهدي، وأبو العباس السراج. «تاريخ بغداد» (١١/ ١١٥).

كما تشاهدون.

والرسالة صحيحة ليس فيها شك، ومن الأدلة علىٰ صحتها أنها ذكرتها كثير من الدواوين، ومنها شرح أصول الاعتقاد عند أهل السنة للالكائي(١)، ومنها طبقات الحنابلة لأبي يعلىٰ، وتلقتها الأمة بالقبول، وهذا الذي سمعتم يتضمن ما يأتي:

أولًا: المعول عليه في التمسك:

التمسك الذي يجب التعويل عليه والاعتماد عليه هو ما كان عن النبي ﷺ، وكذلك ما كان عن أصحابه رضي الله عنهم ولم يختلفوا فيه، أما بالنسبة لرسول الله ﷺ؛ فلأنه المبلغ عن الله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧].

---

(١) اللالكائي الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الحافظ الفقيه الشافعي، محدث بغداد، سمع جعفر بن عبد الله بن فناكي، وأبا القاسم عيسىٰ بن علي الوزير، وأبو طاهر المخلص، وأبا الحسن بن الجندي، وعلي بن محمد القصار، والعلاء بن محمد، وطبقتهم، وتفقه بأبي حامد الإسفراييني، قال الخطيب: كان يفهم ويحفظ، وصنف كتابًا في السنة، وكتابًا في رجال الصحيحين، وكتابًا في السنن، وعاجلته المنية، خرج إلىٰ الدينور فأدركه أجله بها في رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة.
قلت: حدث عنه أبو بكر الخطيب، وأبو بكر أحمد بن علي الطريثيثي. «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٨٣).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]. إلىٰ غير ذلكم من الآيات.

ومن الأحاديث الصحيحة قولهﷺ: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»(١).

وفيه: «**ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله**».

وأجمعت الأمة المسلمة علىٰ وجوب قبول ما صح عن النبي ﷺ، سواء كان في الأمر أو النهي أو الخبر، لما استقر عندهم من مكانهﷺ.

وأما بالنسبة للصحابة؛ فلأنهم هم وحدهم الذين شاهدوا التنزيل وتحمَّلوا الشرع مباشرة عن النبيﷺ، وبلَّغوه إلىٰ من بعدهم بلا زيادة ولا نقص، ولهذا قرر أهل العلم والإيمان والإمامة في الدين أن الصحابة كلهم رضي الله عنهم عدول، وإن كانوا يتفاضلون في الرتبة كما سيأتي في آخر الرسالة.

ثانيًا: أن ما أجمعوا عليه حُجَّة، لا يجوز العدول عنه، لكن ما اختلفوا فيه ينظر في القول الذي يسعفه الدليل.

ثالثًا: الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم، **لأنهم هم الواسطة بين الأمة وبين رسول الله**ﷺ، **فأخذ عنهم أئمة التابعين وأخذ عن أئمة التابعين الأئمة بعدهم وهكذا.**

---

(١) د (٤٦٠٤)، ت (٢٦٦٤)، حم (١٧٢١٣)، ك (٣٧١)، طب (٦٧٠)، كنز (٨٨٠)، هد (٢٩٣٣)، إبك (٦٣)، صححه الشيخ الألباني في كتاب «الحديث حجة بنفسه» برقم (٥، ١٨).

رابعًا: ترك الجدال، المراء يعني الجدال، الدين لا يُجَادَل فيه، ولا يجوز عقدُ مناظرات في الدين؛ هل هذا صحيح أو غير صحيح، أبدًا، هذا متفق علىٰ النهي عنه والتحذير منه بين أئمة الهدىٰ، وإنما يُجَادَل بالتي هي أحسن صنفان من الناس:

* **صنف جاء طالبًا للحق ناشدًا له يبتغيه**: فهذا يُبيَّن له بالدليل ما دلَّ عليه الكتاب والسنة وما سار عليه السلف الصالح بعد رسول الله ﷺ، وأساسهم الصحابة ثم من بعدهم من الأئمة.

* **الصنف الثاني من الناس**: من لُبِّس عليه، هو يريد الحق لكن لُبِّس عليه، وقعت له شُبه فإنه يجلس إليه لكشف الشُّبه بالدليل؛ فإن أبىٰ وصار يتمحَّل ويُجانب يمينًا وشمالًا فإنه يُترك وشأنه.

ولهذا قال القائلون من السلف -رحمهم الله-: «من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل»[(١)].

ولهذا دعاة الحوار متحيِّرون يرون المنكر أمامهم ولا يغيرونه لأنه وقر في نفوسهم وقلوبهم بعد أن تسلَّل من خلال آذانهم أن الكل له رأيه، ولهذا يُصرحون يقولون: لا يلزم أن يقبل مني وأقبل منه، المهم أن يسمع مني وأسمع منه، وهذا ليس بصحيح، فإن المعوّل عليه والمقصود من المجالسة

---

(١) ذكره الإمام مالك عن عمر بن عبد العزيز، كما في «الشريعة» للآجري (١/ ٦٤).

هو بيان الحق بالدليل.

فالمُجالس إمَّا أن يقبل الحق بدليله ويقبل السنة المحضة الخالصة؛ وإمَّا أن تقوم عليه الحجة، فإذا أقيمت عليه الحجة وقف أهل السنة منه الموقف المناسب الذي يقتضيه الحال والمقام.

خامسًا: ترك مجالسة أهل الأهواء: أي لا يُجَالَسون مجالسة مخالطة وممازجة، وإنما يجالسون لما تقتضيه مصلحة راجحة من أجل الدعوة إلىٰ السنة، ولعلَّكم سألتم سؤالًا أن بعض المتحزِّبة منهم من تربطكم بهم روابط صلة رحم أو غيرها.

فأجبنا في ذلك الوقت بما خلاصته: أنه يُجالسهم ويُحسن مسايستهم، أمَّا المُجالسة والمُمازجة من غير بيان للحق والدعوة إليه؛ هذا منكر من المنكرات، ولهذا فإن السلف يُحذِّرون من الدعاة إلىٰ بدعهم أشدَّ التحذير ويُغلظون لهم القول حتىٰ أن بعضهم قال: «لئن أجالس يهوديًّا أو نصرانيًّا خير لي من مجالسة هذا»[1]. إلىٰ غير ذلكم من أنواع التحذير.

---

(١) وكان يقول -يعني: الفضيل بن عياض-: «أحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد. آكل عند اليهودي والنصراني أحب إليَّ من صاحب البدعة». رواه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢/ ٦٣٨).
وعن أوس بن عبد الله الربعي أنه كان يقول: «لأن يجاورني القردة والخنازير في دار، أحب إلي من أن يجاورني رجل من أهل الأهواء». رواه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١/ ١٣١)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٢/ ٤٦٧).

سادسًا: بيان مكانة السنة: وعن هذا عبّر الشيخ بقوله: «فالسنّة تُفسر القرآن وهي دلائل القرآن»، تُفسر القرآن من عدة أوجه: منها تخصيص عامه، ومنها بيان مجمله، ومنها تقييد مطلقه، إلىٰ غير ذلك فهي تُفسر، وهي دلائل القرآن: أي تدل علىٰ ما يدل عليه القرآن، ولهذا فإن الأحكام المتلقاة عن النبيﷺ ثلاثة أصناف:

أحدها: ما انفرد به القرآن ولم يذكر في السنة أصلًا، وهذا في العقائد كثير، فكثير من الصفات ليست مذكورة في السنة.

الثاني: ما توافق عليه القرآن والسنة، ورد في هذا وهذا.

الثالث: ما انفردت به السنة.

فأهل الإمامة في الدين والفضل وجلالة القدر من أهل التحقيق والرسوخ في العلم والنصح الخالص للأمة يقبلون هذا وهذا ويدعون إلىٰ هذا وإلىٰ هذا، فالكل حق عندهم.

«وَلَيسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ، وَلَا تُضرَبُ لَهَا الأَمثَالُ، وَلَا تُدرَكُ بِالعُقُولِ وَلَا الأَهوَاءِ؛ إِنَّمَا هُوَ الاتِّبَاعُ وَتَركُ الهَوَىٰ».

هذا يصح أن نسميه ما يجب علىٰ المسلم حيال السنة، حتىٰ يتلقاها بالقبول، ويتمكن من العمل بها علىٰ الوجه الصحيح، فذكر الشيخ ما يأتي:

أن ليس فيها قياس، فإذا دلَّ الدليل الشرعي السمعي من كتاب أو سنة علىٰ حكم فإن كان في العقيدة أو المعاملة وجب قبوله، ولا يُعارض بالقياس، لأن القياس في مقابل النص -أي: الذي غلب القياس علىٰ النص حتىٰ عارض النص به- لا يخلو من أحد أمرين:

إما أنه يُعطل النص ولا يعمل به.

وإما أنه يكون في حيرة؛ أي: لا يستطيع الوصول إلىٰ حكم، وأول عبد من عباد الله عارض النص بالقياس العقلي من هو؟ إبليس -عليه لعنة الله-، فمن عارض النص عنادًا بالقياس فهو فيه شبه من إبليس شاء أم أبىٰ، وعلىٰ سبيل المثال من قال: كان الاختلاط ممنوعًا منهيًّا عنه أول الأمر، والآن الناس تَقَوَّىٰ الإسلام في قلوبهم وصاروا متحصنين بالفقه وبالعلم إلىٰ غير ذلك من التمحلات لإباحة الاختلاط بين الرجال والنساء!؛ نقول:

أولًا: أنتم عارضتم النصوص الدالَّة علىٰ هذا بالقياس فليس لكم سلف إلا إبليس -عليه لعنة الله-، ومن حذا حذوه من أتباع المدرسة

الفلسفية العقلية.

ثانيًا: الشارع حينما نهىٰ عن هذا فإنه لم يشترط هذا الشرط، والأصل أن ما أطلقه الشارع يبقىٰ علىٰ إطلاقه.

ثالثًا: يؤكد قوله ﷺ: «**إياكم والدخول علىٰ النساء**»[(١)].

رابعًا: ما أكثر ما يُنشر في المجلات والصحف وينقله النقلة من مفاسد الاختلاط بين الجنسين، وأشدُّ هذا من أباح سفر المرأة بلا محرم مع الأجانب، معللين أن هذا يوم كان الناس يعيشون في الصحراء وليس عندهم تقدم ولا حضارة ولا، ولا، ولا...

نقول: هذا قياس عقلي، والواجب عليك أن تستسلم وتنقاد لشرع الله، فبقدر ما تستنكف عنه من شرع الله وتستكبر وتأبىٰ؛ فإنه ينقص عليك من إيمانك، وقد يكون من إعراضك ما يخرجك من دين الإسلام إلىٰ دين الكفر.

«**لا تُضرب لها الأمثال**»: هذا تأكيد للعبارة السابقة، فمثلًا حينما نجد في الأحاديث المتواترة أن المؤمن يُنَعَّم في قبره حتىٰ أنه ليفسح له في قبره مد بصره، وأن المنافق أو الكافر يعذب في قبره حتىٰ أنه تختلف عليه أضلاعه[(٢)] ينطبق عليه، فلو قال إنسان: كيف؟ نحن نرىٰ القبور كلها متشابهة

---

(١) متفق عليه، خ (٤٩٣٤)، م (٢١٧٢).

(٢) متفق عليه، خ (١٢٧٣، ١٣٠٨)، م (٢٨٧٠).

لا نرىٰ لأحد فيها سعة ولا ضيق! نقول:

أولًا: هذا من ضرب الأمثال للسنة.

ثانيًا: هذا الحديث من خبر الصادق المصدوق ﷺ الذي قال الله فيه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣-٤].

ثالثًا: التسليم لما جاء في القرآن وفي السنة الصحيحة، فما عرفت معناه فبها ونعمت، وما لم تعرف معناه فيكفيك فيه التسليم حتىٰ يُهيئ الله لك معرفة معناه أو كيفيته، كيفية نعيم القبر أو عذابه محجوبة إلىٰ يوم القيامة لن يعرفها أحد من البشر أبدًا.

وقد أطلع اللهُ محمدًا ﷺ علىٰ نماذج من أحوال البرزخ للعبرة، لكن لم يخبرنا ﷺ أنه حينما سمع صوت المُعَذَّبين ما قال: فُعِل بهما كذا، وفعل بهما كذا، لا، قال: «**إنهما ليُعذبان**».

«**ولا تُدرك بالعقول**»: كما قال الإمام مالك[1] رَحِمَهُ اللَّهُ حين سأله سائل:

---

(١) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الإمام، الحافظ، فقيه الأمة، شيخ الإسلام، أبو عبد الله الأصبحي، المدني الفقيه، إمام دار الهجرة، وهم حلفاء عثمان ابن عبيد الله التيمي أخي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حدث عن نافع والمقبري ونعيم المجمر والزهري وعامر بن عبد الله بن الزبير، وابن المنكدر وعبد الله بن دينار، وخلق كثير، حدث عنه أمم لا يكادون يحصون منهم: ابن المبارك والقطان وابن مهدي وابن وهب، وابن القاسم القعنبي، وعبد الله بن يوسف، =

يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]. كيف استوىٰ؟!

فأطرق عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ساعة حتىٰ علَته الرحضاء -أي: اشتد عرَقه وتمعَّر وجهه لشدة وقع هذا السؤال عليه، سؤال غريب-، قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

وكذلك نُقل هذا عن شيخه ربيعة بن عبد الرحمن الرأي، ومشىٰ السلف الصالح علىٰ هذا، فلا تُدرك بالعقول أبدًا، فتفسير النصوص يكون من الشارع نفسه، النصوص من أين جاءت؟ جاءت من عند الله عَزَّوَجَلَّ، فيفسرها كتابه نفسه، أو يفسرها نبيه محمد ﷺ، ولا أمر ثالث.

«ولا الأهواء»: أي: لا يحل لمسلم أن يُنزِّل النصوص علىٰ ما يراه هو، بل ينزل الحال والمقال علىٰ النص، فإن أسعفه النص قبل، وإن خالفه رد، ولهذا يركب فقهاء الواقع المعاصرون المتحزبة المتحذلقة خطأ فاحشًا حينما يقولون: يجب أن ننزل النصوص علىٰ أحوال الناس، هذا ليس بصحيح؛ لأن نتيجة هذا أن النصوص تكون تابعة لا متبوعة، والواجب العكس أن يكون النص متبوعًا لا تابعًا، فتنزل أحوال الناس وأقوالهم وأفعالهم علىٰ النصوص، تعرض علىٰ النصوص.

=

وسعيد بن منصور، ويحيىٰ بن يحيىٰ النيسابوري، ويحيىٰ بن يحيىٰ الأندلسي، ويحيىٰ بن بكير، وقتيبة، وأبو مصعب الزبيري، وخاتمة أصحابه أبو حذافة السهمي. «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٠٧).

ولهذا فإن أهل السنة والجماعة، أهل الحديث، أهل الأثر، السلفيون، يعرضون ما يفد إليهم من أقوال الناس وأعمالهم علىٰ ميزانين.

أتدرون ما ذانكم الميزانان؟ هما النص والإجماع، فما وافق نصًّا أو إجماعًا قبلوه، وما خالف نصًّا أو إجماعًا ردُّوه علىٰ من جاء منه كائنًا من كان، وعدُّوه مخالفًا، وهذا المخالف قد تكون مخالفته عنادية، وقد تكون عن جهل أو عن اجتهاد لم يوفق فيه للحق، هذا أمر آخر لكن المقصود أن هذا الفعل، وهذا القول مردود ما دام أنه خالف نصًّا أو إجماعًا.

ثم خلص الشيخ إلىٰ ماذا؟ قال: «**إنما هو الاتباع وترك الهوىٰ**».

الطريق الصحيح هو الاتباع، قول المسلم: سمعت وأطعت، ما كيفية هذا النص؟ الله أعلم، ما معنىٰ هذا النص؟ أنا لا أعرفه لكن أقول إنه حق.

وليعلم كل مسلم معي الآن ومن يبلغه هذا المجلس بعد من المسلمين والمسلمات أن ما أراده الله من عباده بيِّن إما في الكتاب نفسه أو بينته السنة.

وبعبارة أخرىٰ يقال: ما يحتاج له العباد في دينهم بيَّنه الشارع نفسه، ما توفي محمد ﷺ وانتقل إلىٰ الرفيق الأعلىٰ إلا وقد بيَّن أشفىٰ البيان، وأتمَّ البيان، وأوفىٰ البيان، بأبي هو وأمي ﷺ.

وما لا يحتاجه الناس هذا تُرِك، مثلًا هل يحتاج الناس إلىٰ معرفة اسم كلب أهل الكهف؟ لا يحتاجون، لونه؟ لا يحتاجونه، لا مصلحة لهم بذلك،

لو كانت فيه مصلحة بيَّنه، لكن لماذا قتل الخضر ﷺ الغلام؟ بيَّنه بالنص، لماذا بنىٰ الجدار ولم يتَّخذ أجرًا؟ ذكر أم لا؟ ذُكِر، وهكذا كل ما يحتاجه العباد من مصالحهم الدينية والدنيوية بيَّنه الشارع؛ أي: ما يحتاجونه من العبادات والمعاملات.

« وَمِنَ السُّنَّةِ اللَّازِمَةِ الَّتِي مَن تَرَكَ مِنهَا خَصلَةً، لَم يَقبَلهَا وَيُؤمِن بِهَا، لَم يَكُن مِن أَهلِهَا: الإِيمَانُ بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ، وَالتَّصدِيقُ بِالأَحَادِيثِ فِيهِ، وَالإِيمَانُ بِهَا، لَا يُقَالُ: «لِمَ» وَلَا: «كَيفَ» إِنَّمَا هُوَ التَّصدِيقُ وَالإِيمَانُ بِهَا».

هذا يتضمن شيئين:

الأول: أن من أراد أن يكون صاحب سنة فليؤمن بجميع السنة، ولا يرد منها شيئًا، وهذا هو ما عبَّر عنه الإمام بقوله: «ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها»، لا يقبل من منتسب للإسلام أن يأخذ بعض السنة ويدع بعضها، فإذا ردَّ بعضها عنادًا واستكبارًا كان مبتدعًا ولا كرامة عليه.

ثمَّ شرع الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان ما أجمله قبل من قوله: «أصول السنة عندنا»، وذكرت لكم أنه يقصد بعض وليس كل أصول السنة، وعبَّر عنها بأصول السنة لأهميتها.

«الإيمان بالقدر خيره وشره»:

الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة؛ التي لا يكون العبد مؤمنًا حقًّا حتىٰ ينقاد لها ظاهرًا وباطنًا، وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والإيمان باليوم الآخر والقدر خيره وشره، وقد جاء هذا في حديث عمر المشهور بحديث جبريل وهو عند مسلم وغيره، والإيمان بالقدر قد دلَّ عليه

كذلك القرآن كما دلَّت عليه السنة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلىٰ:٣].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣].
هذه من أمثلة القدر.

وهاهنا عدة أمور:

الأمر الأول: في تعريف القدر.

فالقدر لغة: من التقدير، يقال: قدرت الشيء أقدره تقديرًا إذا أحطت بمقداره الذي هو عليه.

أما شرعًا: فهو تقدير الله ﷻ الكائنات تقديرًا يسبق حدوثها وفق علمه بها وكتابته لها في اللوح المحفوظ.

الثاني: بِمَ يتحقق الإيمان بالقدر؟

يتحقق الإيمان بالقدر بأربعة أمور، فإذا استجمعها المسلم كان مؤمنًا حقًّا بالقدر وتُسمىٰ مراتب القدر؛ وهذه الأمور الأربعة هي:

١- علم الله المحيط بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون: هذه ثلاثة أمور (ما كان)؛ أي: في الزمن السابق، (وما يكون) في

المستقبل، (وما لم يكن) أي المعدوم لو كان كيف يكون، هذه مرتبة العلم.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

٢- **مرتبة الكتابة**: وحَدُّها: الإيمان بأن الله قد كتب كل شيء في اللوح المحفوظ وفق علمه به، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحج: ٧٠].

وقال ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه علىٰ الماء**»(١).

فجرىٰ قلمه -جلَّ وعلا- في اللوح المحفوظ بما سبق به علمه.

٣- **مرتبة المشيئة**: فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

ويعبر أحيانًا فيقال: الإرادة الكونية القدرية، وحد هذه الإرادة: ما يجري في الكون من حوادث وفق علم الله بها وكتابته لها في اللوح المحفوظ.

٤- **مرتبة الخلق**: وهي أن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، فما من شيء في السماء والأرض يخرج عن خلقه عز وجل، ويُستثنىٰ من ذلك أسماء الله وصفاته فإنها ليست مخلوقة، لأن صاحب هذه الأسماء والصفات -جلَّ في علاه- هو الخالق وما سواه مخلوق، فأسماؤه وصفاته منه -جلَّ وعلا- ليست خارجة عنه.

---

(١) م (٢٦٥٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، ت (٢١٥٦).

الشيء الثاني: الإيمان بالأحاديث الواردة فيه والتصديق بها، والمقصود أن يعلم كل مسلم ومسلمة أن ما تضمنته نصوص القدر هو من علم الغيب الذي استأثر الله به فلم يطلع عليه ملكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلًا، إذن فيجب على الثقلين من جن وإنس الإيمان بها والتصديق والتسليم لما تضمنته، وفي الآثار الصحيحة: «القدر سر الله»[1].

---

(١) طب (١٠٦٠٦)، إبك (١٩٧٩)، كنز (٤٨٥).

«وَمَن لَم يَعرِف تَفسِيرَ الحَدِيثِ وَيبلُغهُ عَقلُهُ، فَقَد كُفِيَ ذَلِكَ وَأُحكِمَ لَهُ، فَعَلَيهِ الإِيمَانُ بِهِ؛ وَالتَّسلِيمُ لَهُ، مِثلُ: حَدِيثِ «الصَّادِقِ المَصدُوقِ»، وَمثلُ: مَا كَانَ مِثلَهُ فِي القَدَرِ، وَمِثلُ: أَحَادِيثِ الرُّؤيَةِ كُلِّهَا، وَإِن نَبَت عَنِ الأَسمَاعِ، وَاستَوحَشَ مِنهَا المُستَمِعُ، وَإِنَّمَا عَلَيهِ الإِيمَانُ بِهَا، وَأَلَّا يَرُدَّ مِنهَا حَرفًا وَاحِدًا، وَغَيرِهَا مِنَ الأَحَادِيثِ المَأثُورَاتِ عَنِ الثِّقَاتِ».

هذه أحاديث القدر وأحاديث الصفات، ومثل لها بالرؤية وأحاديث نعيم القبر وعذابه كذلك التي هي من الغيبيات فهذه الواجب علىٰ المسلم نحوها ما يلي:

أولًا: التسليم لها وأنها حق، يسلم لها ظاهرًا وباطنًا.

ثانيًا: إذا لم يعرف تفسيرها فقد كفي، فإن أراد التفسير واحتاج إليه يبحث عنه في النصوص، فإن لم يجده في النصوص يبحث عنه فيما نقل عن الصحابة، ثم هذا المنقول عن الصحابة هل هو مجمع عليه أو مختلف فيه؛ فإن كان مجمعًا عليه أخذ به.

الأمر الثالث: إذا لم يجد فقد كُفي وأحكم لك أيها المسلم، ما معنىٰ أحكم؟ أي: أن الله -جلَّ وعلا- تعبدك بما دلَّ عليه النص عرفت تفسيره أو لم تعرف تفسيره، فتعبدنا الله علىٰ سبيل المثال بأحاديث نعيم القبر وعذابه نؤمن بها، نؤمن بما دلَّت عليه من أحوال المنعمين والمعذبين ولا نطلب وراء ذلك شيئًا.

وما تضمَّنه حديث الصادق المصدوق من «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يُرسل الملكُ فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات بِكَتْبِ رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.

فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[(١)].

كيف يجمع؟ لا ندري، ما بيَّن لنا نبينا ﷺ ذلك، كيف تُكسىٰ العظام لحمًا؟ الله أعلم، كيف نفخ الملك؟ الله أعلم، لكن ينفخ كما نفخ الروح في درع مريم عليها السلام فهو ينفخ في درع المرأة، لكن كيف ينفخ؟ ما لنا شغل!

هل يضع رأسه بين ثيابها وجسمها؟ فينفخ من قريب، من بعيد؟ ما لنا شغل في هذا وما تعبدنا الله بهذا.

تعبدنا الله بالإيمان بهذا النص وأن ما تضمنه حق، كيف يكتب؟ يؤمر بكتب هذه الأربع الكلمات؟ الله أعلم، ما ندري كيف يكتب، الكيفية غائبة لكن الكتابة معروفة إنها جر القلم علىٰ الصحيفة أليس كذلك؟ الكتابة في

---

(١) متفق عليه، خ (٣٠٣٦، ٣١٤٥، ٦٢٢١، ٧٠١٦)، م (٢٦٤٣).

اللغة ما هي؟ أليست جر القلم على الصحيفة؟ حتى يخرج من ملامسة القلم للصحيفة حروف يقرؤها الناس، هذا المعنى في اللغة العربية وهكذا.

لو قال قائل: ينزل ربنا، كيف ينزل؟ ما لنا شغل بهذا هل يخلو العرش منه؟ لا أدري، ينزل بعرش؟ لا أدري، لماذا؟ لم يُبيِّنه الله ولم يُبيِّنه رسوله، لكن النزول في اللغة العربية معروف يكون من أعلى إلى أسفل وهكذا، كيف يضع قدمه على النار حينما تقول: «**هل من مزيد، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط**»[1]. الله أعلم، لكن الوضع معروف في اللغة العربية، لكن كيف يضع ربي قدمه على النار؟ الله أعلم.

لِمَ لا يكون ملك أو مجموع من الملائكة؟ نقول: لا، ظاهر النص كذا، يلقى فيها وهي تقول هل من مزيد ...-الحديث-.

فتقول: قط قط؛ حسبي حسبي، هكذا النص ما قال: يلقى فيها قال: يضع، لما أريد الخلق قال: يلقى، من الإنس والجن، وهي تقول هل من مزيد، ثم لما جاء ذكر الصفة قال: حتى يضع، ولم يقل: حتى يلقى، والوضع غير الإلقاء.

وقد يفسر الإلقاء بالوضع لكن بقرينة، أما هنا ليس هناك قرينة تصرفه عن المعنى، الوضع في اللغة العربية معروف، إذا قال شخص ألق القلم على

---

(١) متفق عليه، خ (٤٥٦٧، ٦٩٤٩)، م (٢٨٤٨).

المنضدة فإنك تطرحه طرحًا أليس كذلك؟ لكن إذا قال ضعه؛ فإنك تنزله هكذا أليس كذلك؟

الإلقاء والوضع أمران متغايران مختلفان في اللغة العربية.

«وَأَلَّا يُخَاصِمَ أَحَدًا، وَلَا يُنَاظِرَهُ، وَلَا يَتَعَلَّمَ الجِدَالَ، فَإِنَّ الكَلَامَ فِي القَدَرِ وَالرُّؤْيَةِ وَالقُرْآنِ وَغَيرِهَا مِنَ السُّنَنِ مَكرُوهٌ وَمَنهِيٌّ عَنهُ، لَا يَكُونُ صَاحِبُهُ -وَإِن أَصَابَ بِكَلَامِهِ السُّنَّةَ- مِن أَهلِ السُّنَّةِ حَتَّىٰ يَدَعَ الجِدَالَ وَيُسلِّمَ، وَيُؤمِنَ بِالآثَارِ».

الإيمان بالسنة مبني علىٰ التسليم والانقياد وليس علىٰ التخيلات، وهذا تأكيد لما سبق من موقف المسلم من القدر وما ماثله من الغيبيات، هكذا يستسلم لها وينقاد ولا يخاصم فيها ولا يناظر أبدًا.

هذا هو طريق السلامة، يترك الجدال والمخاصمة والمحاورات، ويترك ضرب الأمثال وإنما يُسلِّم ويدعو إلىٰ التسليم كذلك، ومن عاند وكابر فهذا شأنه.

للإمام مالك موقفان مشهوران:

أحدهما: قوله: «أوَكلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل إلىٰ محمد ﷺ»(١).

الثاني: «كان يمشي وراءه رجل من أهل الأهواء يقول: يا أبا عبد الله، اسمع مني شيئًا أكلمك به وأحاجك، وأخبرك رأيي، قال: فإن غلبتني؟ قال: تتبعني. قال: فإن جاء رجل آخر فكلمنا فغلبنا؟ قال: نتبعه. قال مالك: يا عبد الله،

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٠٨)، «طبقات الحنابلة» (١/ ٩٢).

بعث الله محمدًا ﷺ بدين واحد وأراك تتنقل من دين إلىٰ دين»[(١)].

وقيل للحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نجادلك؟ قال: لست في شك من ديني»[(٢)].

لست في شك من ديني، الدين لا يناظر عليه ولا يساوم عليه كتاب أو سنة، لكن من وقعت له شبهة، وكان يريد الحق فهذا يعلم، كذلك أهل الأهواء حينما يُلقون شُبهًا ويبثونها في الناس فإنه يُرد عليهم، أما مادامت في أنفسهم فما لنا شغل فيهم.

«ويؤمن بالآثار»:

الآثار: جمع أثر: وهو المأثور، اسم مفعول والمراد به شيئان:

أحدهما: ما صحَّ عن النبي ﷺ، وهذا يرادف الخبر والحديث.

الثاني: ما صحَّ من أمر الدين عن الصحابة أو الأئمة من غيرهم مما لا يخالف حديثًا صحيحًا، يستسلمون له، لكن إذا أطلقت الآثار فهي الأحاديث.

---

(١) «الشريعة» (١/ ٦٤)، «سير أعلام النبلاء» (٨/ ١٠٦).

(٢) «رسالة الإمام السجزي في الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت» (١/ ٥٤).

«وَالقُرآنُ كَلَامُ اللهِ، وَلَيسَ بِمَخلُوقٍ، وَلَا يَضعُفُ أن يَقُولَ: لَيسَ بِمَخلُوقٍ. قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ الله لَيسَ بِبَائِنٍ مِنهُ، وَلَيسَ مِنهُ شَيءٌ مَخلُوقٌ، وَإِيَّاكَ وَمُنَاظَرَةَ مَن أَحدَثَ فِيهِ، وَمَن قَالَ بِاللَّفظِ وَغَيرِهِ، وَمَن وَقَفَ فِيهِ فَقَالَ: «لَا أَدرِي مَخلُوقٌ أَو لَيسَ بِمَخلُوقٍ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ الله» فَهَذَا صَاحِبُ بِدعَةٍ، مِثلُ مَن قَالَ: «هُوَ مَخلُوقٌ» وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ الله لَيسَ بِمَخلُوقٍ».

كلام الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في القرآن قرَّر فيه ما يأتي:

أولًا: أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، كما دلَّ علىٰ ذلكم الكتاب والسنة وإجماع الأئمة من أهل السنة.

فالأدلة من القرآن منها قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٦]. ممن يسمع؟ يسمع من القاري، ولهذا قال أهل العلم: «الكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري».

ثانيًا: القوة في الصدع بهذه القاعدة، ولهذا قال لا تضعف أن تقول: ليس بمخلوق، اصدع: القرآن كلام الله.

وقد جاء في السنة كذلك ما يدلّ علىٰ هذا منها قوله ﷺ: **«ألا رجل يحملني حتىٰ أبلغ كلام ربي»**[(١)].

---

(١) قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٥٩١): «أخرجه البخاري في «أفعال العباد»
=

ثالثًا: الرد أو التحذير من مذهب اللفظية وهم القائلون: لفظي بالقرآن مخلوق، وتحذير الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة مثل محمد بن يحيىٰ بن عبد الله الذهلي[1] رحم الله الجميع لسببين:

١- أن هذه العبارة محدثة: «لفظي بالقرآن مخلوق» محدثة، وما أكثر ما تجره المحدثات علىٰ الدين، هي هدم للدين، هدم للسنة.

٢- إن القائلين بخلق القرآن لما ضعفت شوكتهم وقويت شوكة أهل السنة، انسلوا إلىٰ القول بخلق القرآن من خلال هذه العبارة فهو يقول لك:

=

(ص٧٧-هند)، وأبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢/ ١٥٢)، والدارمي (ص٤٢٨-هند)، وابن ماجه (٢٠١)، وابن منده في «التوحيد» (١١٣/ ٢)، وابن عبد الهادي في «هداية الإنسان» (٢/ ٢٣٩/ ١) عن إسرائيل حدثنا عثمان بن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال: فذكره مرفوعًا، وقال الترمذي: حديث غريب صحيح.

قلت: وهو علىٰ شرط البخاري. وأخرجه أحمد (٣/ ٣٢٢ و٣٣٩) من طريق أبي الزبير عن جابر نحوه مختصرًا. وهو علىٰ شرط مسلم.

(١) الذهلي، الإمام شيخ الإسلام، حافظ نيسابور، أبو عبد الله محمد بن يحيىٰ بن عبد الله بن خالد بن فارس النيسابوري، مولىٰ بني ذهل، ولد بعد السبعين ومائة، وسمع الحفصين، وترك الرواية عنهما وسمع عبد الرحمن بن مهدي وأسباط بن محمد وأبا داود الطيالسي وعبد الرزاق، وخلائق بالحرمين، والشام ومصر والعراق والري وخراسان واليمن والجزيرة وبرع في هذا الشأن.

حدث عنه الجماعة سوىٰ مسلم، وسعيد بن أبي مريم والنفيلي. «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٥٣٠).

«لفظي بالقرآن مخلوق»، اسمع: ألف لام ميم، لفظي بالقرآن مخلوق، وهم يريدون القول بخلق القرآن لكن لا يستطيعون التصريح، فأراد هؤلاء الأئمة وغيرهم قطع الطريق عليهم.

ومن القواعد التي ورثناها عن الأئمة ودلَّ عليها الكتاب الكريم: أن ما احتمل معنيين من العبارات أحدهما صحيح والآخر فاسد، تترك، قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١٠٤].

الصحابة كانوا يقولون: يا رسول الله: راعنا راعنا، سمعوها من اليهود، اليهود يريدون معنىٰ والصحابة لا يريدون ذلك المعنىٰ، اليهود يريدون أنك أحمق، يا محمد أنت أحمق أو أرعن؛ من الرعونة أو الحماقة، ولكنهم يلوون ألسنتهم ويقولون راعنا، والصحابة يريدون (راعنا)؛ أي: أمهلنا، ولما كانت هذه الكلمة يستعملها الأعداء لغرض سيئ وهو شتم النبي ﷺ وسبُّه وجَّه الله أصحاب محمد -صلىٰ الله عليه وسلم ورضي الله عنهم- أن يستعملوا كلمة ليس فيها مدخل.

كلمة صريحة ليس فيها سبٌّ ولا شتم، وقولوا: انظرنا؛ أي: أمهلنا، بقي الآن: هل تستعمل هذه الكلمة ونسمعها كثيرًا بين الناس؟

نقول: عرف الناس الآن -وخصوصًا في البيع أو الشراء جاري باستعمالها-، فالمشتري يقول للبائع: راعني راعني، أليس كذلك؟ ولا يريد

سبًّا ولا شتمًا، أي خفِّف علينا.

كذلك التحذير من مذهب الواقفة، الواقفة يقولون القرآن كلام لكن ما ندري مخلوق أم غير مخلوق، فهؤلاء أيضًا مبتدعة ضلال، فالواجب أن يصدع المسلم بأن القرآن كلام الله، ثم ختم هذا بالتحذير من مناظرة من أحدث القول بخلق القرآن لأنه مبتدع، والمبتدع لا يناظر لكن تبين له السنة بالدليل.

هنا سؤالان:

السؤال الأول: ماذا أراد الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه القاعدة وهذا التقرير؟

الجواب: إن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مشىٰ علىٰ ما دلَّ عليه الكتاب والسنة ومشىٰ عليه السلف الصالح قبله، ومرادهم:

أولًا: إن القول بخلق القرآن نقص في حق الله عَزَّ وَجَلَّ وَتَعَدٍّ علىٰ مقام الربوبية، فالتنزيل دلَّ علىٰ أن القرآن كلام الله والسنة دلَّت كذلك.

ثانيًا: الرد علىٰ من أحدث قولًا غير قول السلف في القرآن؛ وهم الجهمية وورثتهم المعتزلة، قالوا بخلق القرآن وإذا قيل لهم ماذا تصنعون بقوله: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾؟ قالوا: هذا مجاز، الله ما تكلم بالقرآن.

ومنهم من قال: خلق الكلام في غيره وذلك يعبر عنه.

وقالت الأشاعرة: القرآن عبارة عن كلام الله، وإيضاح ذلكم أن القرآن عندهم قسمان: قسم: هو الحروف، والقسم الآخر: المعاني.

فالمعاني هي كلام الله والحروف ليست كلام الله هي عبارة، وهذا نشأ من عقيدة فاسدة عندهم وهي أن الكلام هو المعنىٰ القائم بالنفس وليست الحروف، وهذه القاعدة يردُّها قوله ﷺ: **«إن الله تجاوز عن أمتي ما حدَّثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تفعل»**(١).

ووجه الدلالة: أن الإخبار عن رفع المؤاخذة والإثم من حديث النفس وإثبات ذلك في الكلام، فمجرد حديث النفس ليس بكلام، وما قام بالنفس ليس بكلام حتىٰ تتحرك به الشفتان واللسان.

وقارب قول الأشاعرة قول الكلابية أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب(٢) قالوا: القرآن حكاية عن كلام الله والعبارتان مترادفتان متفقتان ليس بينهما خلاف إلا في اللفظ.

---

(١) خ (٢٣٩١، ٤٩٦٨، ٦٢٨٧)، م (١٢٧).

(٢) ابن كلاب: رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، أبو محمد، عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري، صاحب التصانيف في الرد علىٰ المعتزلة، وربما وافقهم، أخذ عنه الكلام داود الظاهري، قاله أبو الطاهر الذهلي.

وقيل: إن الحارث المحاسبي أخذ علم النظر والجدل عنه أيضًا. وكان يلقب كلابًا لأنه كان يجر الخصم إلىٰ نفسه ببيانه وبلاغته، وأصحابه هم الكلابية، لَحِق بعضهم أبا الحسن الأشعري، وكان يرد علىٰ الجهمية. «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٧٤).

وهنا سؤال: هل قال أحد في هذا العصر بهذا القول؟

نقول: نعم، قال به أحمد بن حمد الخليلي مفتي عمان، قال بهذا، وردَّ عليه الشيخ علي بن ناصر فقيهي -حفظه الله-، وقال به سيد قطب في تفسير سورة طه من كتابه الظلال، والحقيقة أنه ضلال وليس بظلال، مليء بالكفريات والتكفير وتعطيل الصفات والجبر والقول بوحدة الوجود وغير ذلك من البلايا، قال في تفسير سورة طه عند قوله تعالىٰ: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [طه:٤].

قال: القرآن ظاهرة كونية تنزلت من الملأ الأعلىٰ(١)، الكوني من كوَّنه؟

الكوني مخلوق أو قال عبارة قريبة لكن تجدونه -إن شاء الله- في تفسير سورة طه، وأنا بعيد العهد بهذا.

فالمقصود: أن أهل السنة يُبينون الحق بما يقررونه من العقائد والقواعد والأصول المستندة علىٰ الكتاب والسنة وعلىٰ فهم السلف الصالح، ويردُّون ما خالف ذلك بالدليل فلا يكتفون ببيان الحق فقط، لا، لابد من ردِّ ما يخالف الحق، حتىٰ يكون الدين صافيًا خالصًا له ﷻ .

وهكذا القرآن وهكذا محمد ﷺ كان عنده البيان منذ بعثه الله حتىٰ

(١) «في ظلال القرآن» (٥/ ١١١). قال: «فالقرآن ظاهرة كونية كالأرض والسموات، تنزلت من الملأ الأعلىٰ».

توفاه، وهو يُبيِّن للناس الدين الحق ويحضُّ عليه ويحملهم عليه، كما بيَّن لهم ما يخالف هذا التدين الخالص لله ﷻ من الشرك والمعاصي، ويحذر منها ويُحذر منها حتىٰ توفاه الله ثم مشىٰ أصحابه والأئمة من بعدهم إلىٰ اليوم علىٰ هذا.

«وَالإِيمَانُ بِالرُّؤْيَةِ يَومَ القِيَامَةِ كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ.

وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَد رَأَىٰ رَبَّهُ، فَإِنَّهُ مَأثُورٌ عَن رَسُولِ الله ﷺ صَحِيحٌ، رَوَاهُ قَتَادَةُ عَن عِكرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وَرَوَاهُ الحَكَمُ بنُ أَبَانَ عَن عِكرِمَةَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ، وَرَوَاهُ عَلِيُّ بنُ زَيدٍ عَن يُوسُفَ بنِ مِهرَانَ، عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ.

وَالحَدِيثُ عِندنَا عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، كَمَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالكَلَامُ فِيهِ بِدعَةٌ؛ وَلَكِن نُؤمِنُ بِهِ كَمَا جَاءَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَلَا نُنَاظِرُ فِيهِ أَحَدًا».

الرؤية: المقصود رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، وقد دلَّ علىٰ الرؤية (رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة) القرآن والسنة وأجمع عليها الأئمة من أهل السنة.

فمن القرآن الكريم: قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢]؛ أي: حسنة مضيئة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣].

ومن السنة قوله ﷺ: **«إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامُّون في رؤيته»**[1].

وروي لا تضامُّون، لا تضامون: أي لا يلحقكم ضيم فيراه بعضكم دون الآخر، ولا تضامُّون بالفتح والتشديد: أي لا تتزاحمون، وهذا تشبيه

---

(١) متفق عليه، خ (٥٢٩، ٥٤٧، ٤٥٧٠، ٦٩٩٧)، م (٦٣٣).

الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي؛ فإن الله لا يشبهه شيء كما قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١].

وهذه الأحاديث دلَّت علىٰ الموطن الأول من مواطن الرؤية وهو في أرض المحشر في الموقف، الموطن الثاني في الجنة وفي هذا ما أخرجه أحمد ومسلم من حديث صهيب بن سنان ﷺ قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

وقال: «**إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، وأهل النارِ النارَ نادىٰ منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه.**

فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ينجنا من النار؟!

قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه؛ فوالله ما أعطاهم الله شيئًا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم»[1].

فهذه الرؤية: الرؤية الثانية والموطن الثاني، وأنكر الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم رؤية المؤمنين ربهم ولهم حجج: منها قوله تعالىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:١٤٣]. حين سأل موسىٰ ربه أن يراه، فهذه واضحة لديكم.

---

(١) ت (٣١٠٥)، حب (٧٤٤١)، جه (١٨٧)، حم (١٨٩٦١)، ن (١١٢٣٤)، كنز (٣٩٢٠٥)، طب (٧٣١٤)، طس (٧٥٦)، وصححه الألباني في صحجب رقم (٥٢١)، وفي «شرح الطحاوية» (١/ ٢٠٦)، و«الاحتجاج بالقدر» (١/ ٩١)، ظج (٤٧٢).

قالوا: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ لن تفيد التأبيد وهذا ما قرره الزمخشري[1]، وهو معتزلي جلد، وأهل اللغة لا يوافقونه علىٰ هذا، فهي لا تفيد التأبيد إلا بقرينة.

والجواب عن هذا من وجهين:

أولًا: دلَّت الأحاديث علىٰ أن المؤمنين سيرون ربهم يوم القيامة.

ثانيًا: هذه الآية لنفي الرؤية في الدنيا وقد قيّدها الله ﷻ بقوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾.

هذا دليل علىٰ أن البشر لا يطيقون النظر إلىٰ الله تعالىٰ، بل الجبل ما أطاقه وهو جبل، ما تحمل اندك الجبل فكيف بالبشر، وحال الناس في الآخرة مختلف عن حالهم في الدنيا، الله هيئ المؤمنين لهذا نعمة منه سبحانه وتعالى.

الحجة الثانية: قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

وذلك أنهم فسَّروا الإدراك بالإحاطة بالرؤية قالوا: لا تدركه الأبصار؛ أي: ما تراه الأبصار.

والجواب: إن الإدراك شيء والإحاطة شيء آخر، فالمنفي إحاطة الأبصار بالله ﷻ، وليس رؤيته فرؤيته قد جاءت بها السنة وما سمعتم قبل

---

(١) محمود بن عمر الزمخشري المفسر النحوي، صالح، لكنه داعية إلىٰ الاعتزال. أجارنا الله، فكن حذرًا من كشافه. «مزيان الاعتدال» (٤/ ٧٨).

من الآيات والسنة مؤكدة لها، هذا وجه.

الوجه الثاني: الدليل علىٰ أن الإدراك شيء غير الرؤية فالإدراك يراد به الإحاطة قوله تعالىٰ فيما قصَّ علينا من خبر موسىٰ ﷺ مع عدوه فرعون -عليه لعنة الله-، ماذا قال أصحاب موسىٰ لما لحق بهم فرعون وجنده؟ ماذا قالوا؟ قالوا: إنا لمدركون، فرد عليهم عبد الله ورسوله موسىٰ ﷺ بقوله: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦٢]؛ أي: كلا لستم بمدركين، فهل موسىٰ هنا نفىٰ الرؤية أم نفىٰ شيئًا آخر توجس منه؟

أجيبوا: نفىٰ شيئًا آخر هو الذي يخشاه قومه وهو الإحاطة، ما نفىٰ الرؤية لأن كلا الفريقين يرىٰ الآخر أليس كذلك؟ فينظر بعضهم علىٰ بعض، فيستحيل من عبد الله ورسوله موسىٰ ﷺ أن ينفي الرؤية وإنما نفىٰ الإحاطة، وهي ما يخشاه قومه من عدوهم فقال: كلا إن معي ربي.

ومن حُججهم: أن إثبات الرؤية أو إثبات النظر يستلزم أن الله في جهة، ولازم هذا أنه جسم والله مُنزه عن ذلك.

والجواب: أن لفظة الجهة مُجملة تحتمل معاني ثلاثة:

- جهة سُفل.

- جهة علو تحيط بالله وتحويه.

- جهة علو لا تحيط بالله.

فالأول والثاني باطلان، دلَّ الكتاب والسنة علىٰ بطلانهما مع الإجماع والعقل والفطرة السليمة.

والثالث هو الصحيح، وهو مقتضىٰ الكتاب والسنة وعليه دلَّ الإجماع والعقل والفطرة السليمة (جهة علو لا تحيط بالله)، وهذا هو الذي يؤمن به أهل السنة والجماعة (أن الله في العلو)، ولهذا صحَّ من حديث معاوية بن الحكم ﵁ أن جارية له أتىٰ بها إلىٰ رسول الله ﷺ قال: «قلت: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟

قال: **ائتني بها**. فأتيته بها فقال لها: **أين الله؟**

قالت: في السماء. قال: **من أنا؟**

قالت: أنت رسول الله. قال: **أعتقها فإنها مؤمنة**»[1].وفي رواية أخرىٰ أنها أشارت بأصبعها إلىٰ السماء؛ أي: أنت رسول ذاك الذي في السماء، الله يشار إليه إشارة حسية يعني في العلو، فالله -جلَّ وعلا- له علُو القدر وعلُو الذات وعلو القهر.

فعلو الذات: أنه فوق عرشه وعرشه فوق سمواته، فوق مخلوقاته كلها، فوقية تليق بجلاله ﷻ.

---

(١) م (٥٣٧)، حب (١٦٥)، د (٩٣٠)، ن (٨٥٨٩)، حم (٢٣٨١٣، ٢٣٨١٨)، طب (١٩/ ٩٣٨)، طي (١١٠٥)، هق (٨٥٨٩)، ش (٣٠٣٤٢)، وصححه الألباني في صدب رقم (٨٢٣، ٢٨٠٩، ٢٨٥٧)، ظج (٤٨٩)، مش (٣٣٠٣).

هذا أول ما تضمنته هذه القاعدة.

الأمر الثاني: الإشارة إلىٰ حديث اختصام الملأ الأعلىٰ الذي أورده بن كثير وغيره في تفسير هذه الآية: ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [ص: ٦٩].

وحكاه بن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بطوله، فالإمام أحمد يقرر أن هذا صحيح بما ساقه من الطرق كما يقرر وجوب الإيمان به وأنه علىٰ ظاهره، ومما في هذا الحديث: «حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو سعيد مولىٰ بني هاشم ثنا جهضم -يعني: اليمامي- ثنا يحيىٰ -يعني: بن أبي كثير- ثنا زيد -يعني: بن أبي سلام- عن أبي سلام -وهو زيد بن سلام بن أبي سلام، نسبه إلىٰ جده-؛ أنه حدثه عبد الرحمن بن عياش الحضرمي عن مالك بن يخامر أن معاذ بن جبل قال: «احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة عن صلاة الصبح حتىٰ كدنا نتراءىٰ قرن الشمس فخرج رسول الله ﷺ سريعًا فثوب بالصلاة، وصلىٰ وتجوَّز في صلاته؛ فلما سلَّم قال: **كما أنتم علىٰ مصافكم**؛ ثم أقبل إلينا.

فقال: **إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة؛ إني قمت من الليل فصليت ما قُدِّر لي؛ فنعست في صلاتي حتىٰ استيقظت؛ فإذا أنا بربي عَزَّ وَجَلَّ في أحسن صورة.**

فقال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلىٰ؟

قلت: لا أدري يا رب.

قال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلىٰ؟

قلت: لا أدري رب، فرأيته وضع كفه بين كتفي حتىٰ وجدت برد أنامله بين صدري؛ فتجلىٰ لي كل شيء وعرفت.

فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلىٰ؟

قلت: في الكفارات.

قال: وما الكفارات؟

قلت: نقل الأقدام إلىٰ الجُمعات وجلوس في المساجد بعد الصلاة وإسباغ الوضوء عند الكريهات.

قال: وما الدرجات؟

قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة والناس نيام.

قال: سل.

قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلىٰ حبك.

وقال رسول الله ﷺ: **أنها حق فادرسوها وتعلموها»**[1]. وإن كان بعض

---

(١) ت (٥/ ٣٦٦، ٣٦٧)، دار (١٠٧)، حم (١/ ٣٦٨، ٤/ ٦٦، ٥/ ٢٤٣، ٣٧٨)، ع (٤٧٥)، =

علمائنا وأئمتنا يضعفون هذا الحديث، لكن فيما ساقه أحمد من الطرق كفاية علىٰ صحته وأنه صالح للاحتجاج -والله أعلم-، وراجعوا الحديث في تفسير ابن كثير، أو في السنن، لكن تفسير بن كثير أقرب، وأظن ابن كثير أيضًا يذهب إلىٰ أنها رؤيا منامية، ولكن رؤيا الأنبياء حق وعلىٰ تصحيح الإمام أحمد له سمعتم اللفظة قال: نعست فاستيقظت.

=

كنز (١/ ٤٠١، ١٥/ ١٣٥٠، ١٣٥٤)، طب (٨/ ٢٩٠، ٣٢٢، ٢٠/ ١٠٩، ١٤١)، طس (٥/ ٣٤٢)، وصححه الألباني في صج (٥٩)، سص (٣١٦٩)، صغه (١/ ٤٦، ٧٣، ٩٧، ١٠٨)، صت (٢٥٨٠، ٢٥٨١، ٢٥٨٢)، والإرواء (٣/ ١١٧، ١١٨، ١٤٧، ١٤٨).

«والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء «يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة»، و«توزن أعمال العباد»، كما جاء في الأثر.

والإيمان به والتصديق به، والإعراض عمَّن ردَّ ذلك وترك مجادلته».

هذه الأمور التي سيذكرها الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مشىٰ علىٰ الإيمان بها أهل السنة والجماعة أئمتهم وعوامهم -ولله الحمد-؛ لأنها دلَّ عليها الكتاب والسنة وأجمع عليها السلف الصالح، وأنكرها المعتزلة ومن لفَّ لفهم بحجة أنها آحاد والآحاد غير مقبول عندهم في الاعتقاد ويرد عليهم:

أولًا: إنها ليست آحاد كما تزعمون بل هي متواترة تواترًا معنويًّا، وذلك مما يوجب العلم والعمل.

ثانيًا: لو سلَّمنا لقولكم أنها آحاد؛ فإن الإجماع منعقد عند أهل السنة علىٰ الإيمان بها والتصديق.

وأول هذه الأصول التي أنكرها الجهمية والمعتزلة، ومن لفَّ لفَّهم من أهل البدع: الميزان.

والميزان: في اللغة اسم آلة يميل به مقدار الأشياء خفة وثقلًا.

وشرعًا: هو ميزان ينصبه الله جَلَّ في الموقف لوزن العباد وأعمالهم وصحفهم ولا يعلم كيفيته إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونصب الميزان يوم القيامة لإظهار كمال عدل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فمن القرآن الكريم دليل على الميزان قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٣]. وغير ذلك من الآيات.

وقد جاءت السنة المتواترة في ذلك ومنها قوله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان في اللسان ثقيلتان في الميزان**»[١].

ختم البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الحديث صحيحه، وهذا دليل على وزن العمل.

ومن السنة دليل على وزن صاحب العمل قوله ﷺ، وقد أشار إليه الإمام «**يؤتى بالرجل السمين العظيم فلا يزن عند الله جناح بعوضة**»[٢]. وفي «مسند الإمام أحمد» وغيره أن بن مسعود رضي الله عنه: «كان يجتني سواكًا من الأراك، وكان دقيق الساقين؛ فجعلت الريح تكفئه؛ فضحك القوم منه! فقال رسول الله ﷺ: **مِمَّ تضحكون؟!**

قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه!!

فقال: **والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد**»[٣]. **وأما الصحيفة:** فالدليل على وزنها ونقصد بالصحيفة؛ صحيفة العمل، الدليل حديث صاحب

(١) متفق عليه، خ برقم (٦٠٤٣، ٦٣٠٤، ٧١٢٤)، م برقم (٢٦٩٤).

(٢) متفق عليه، خ برقم (٤٤٥٢)، م برقم (٢٧٨٥).

(٣) حم برقم (٣٩٩١)، وفي الكنز برقم (٣٣٤٦٤، ٣٣٤٦٥).

البطاقة هو عند الترمذي وغيره حديث حسن من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله سيخلص رجلًا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة؛ فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟**

فيقول: لا يا رب!

فيقول: أفلك عذر؟

قال: لا يا رب!

فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك.

فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟!

فيقول: إنك لا تُظلم.

قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة؛ فطاشت السجلات وثقلت البطاقة! فلا يثقل مع اسم الله شيء!!»[1].

---

(١) ت برقم (٢٦٣٩)، جه برقم (٤٣٠٠)، حب ١ برقم (٢٢٥)، ك برقم (٩، ١٩٣٧)، كنز برقم (١٠٩، ١١٠، ١٤٢١)، وصححه الألباني في شرح الطحاوية (١/ ٤٧٢)، صغه (١٥٣٣)، مش (٥٥٥٩).

فيتحصل من هذا:

١ - ثبوت الوزن يوم القيامة ونصب الميزان.

٢- الميزان له كفتان، ونقل الزجَّاج الإجماع علىٰ أنه له لسان، واللسان هو يكون بين الكفتين، فإذا تعادل الموزونان صار اللسان في الوسط، وإذا رجح أحدهما لم يكن في الوسط.

٣- أن الوزن يقع علىٰ العمل والعامل وصحيفة العمل.

«وأن الله تعالىٰ يكلم العباد يوم القيامة ليس بينهم وبينه ترجمان والإيمان به والتصديق به».

هذه صفة الكلام لله في المحشر حين يحاسب كل عبد يكلمه، وهذا إشارة إلىٰ حديث صحيح[1] جاء عن غير واحد من الصحابة كما ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) متفق عليه، خ برقم (٦١٧٤، ٧٠٠٥، ٧٠٧٤)، م برقم (١٠١٦).

«والإيمان بالحوض وأن لرسول الله ﷺ حوضًا يوم القيامة ترد عليه أمته، عرضه مثل طوله مسيرة شهر، آنيته كعدد نجوم السماء علىٰ ما صحَّ في الآثار من غير وجه».

هذا الأصل الثاني: وهو ثبوت حوض النبي ﷺ.

والحوض في اللغة: مجمع الماء وبهذا يقال حوض كذا حوض كذا، حوض دجلة حوض الفرات حوض النيل وهكذا، أي المكان الذي يجمع فيه الماء.

وشرعًا: حوض في المحشر لرسول الله ﷺ، ترده أمته يمده ميزابان في الجنة، والأحاديث كما ذكر الشيخ.

وقد أوجز الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حاصل الأحاديث الواردة في الحوض، وهي متواترة تواترًا معنويًّا، ومن الأحاديث في الحوض قوله ﷺ: **«ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري علىٰ حوضي»**[1]. إلىٰ غير ذلك من الأحاديث.

---

(١) متفق عليه، خ برقم (١١٣٧، ١١٣٨، ١٧٨٩، ٦٢١٦، ٦٩٠٤)، م برقم (١٣٩٠، ١٣٩١).

«والإيمان بعذاب القبر، وأن هذه الأمة تفتتن في قبورها وتسأل عن الإيمان والإسلام ومن ربه؟ ومن نبيه؟ ويأتيه منكر ونكير كيف شاء الله عَزَّوَجَلَّ وكيف أراد، والإيمان والتصديق به».

ألفنا من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يختم كل قاعدة، وكل أصل يقرره يخلص إلىٰ الإيمان والتصديق يعني يجب، وأحاديث القبر ونعيمه مما تواتر عن النبي ﷺ منها حديث البراء بن عازب عند أحمد وغيره قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة؛ أتاه نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه**... إلىٰ أن يقول: **يا أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلىٰ مغفرة من الله ورضوان** ... إلخ.

وقال: **إن العبد الكافر والمنافق؛ إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة سود الوجوه معهم المسوح** ... إلىٰ أن يقول: **يا أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلىٰ سخط من الله وغضب** ...» الحديث[1].

والمقصود: الإيمان بأن القبر هو أول منازل الآخرة، وأن المؤمن فيه ينعم، وأن الكافر أو المنافق يعذب، والعصاة من المؤمنين يعذبون علىٰ ما

---

(١) حم برقم (١٨٥٥٧، ١٨٦٣٧)، هب (٣٥٣)، ك برقم (١٠٧)، ش برقم (١٢٠٥٩)، تآط (٢١٣) برقم (١٧٢)، عب برقم (٦٧٣٧)، مجز (٣/ ١٧٠) برقم (٤٢٦٦)، الكنز (١/ ٩٨٢) برقم (٤٢٤٩٥)، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز» (١٠٦)، صغه (٣/ ٢١٩)، مش (٣٦٨).

ارتكبوه من كبائر، وعذاب القبر قد يستمر إلىٰ يوم القيامة فيكون المؤمن مطهرًا بذلك وقد يجمع الله علىٰ مؤمن من عذابين -عافانا الله وإياكم من كليهما-.

وقد يستمر عذاب القبر فترة ثم ينقطع إجابة لدعاء داعي، أو لأن العقوبة قد انتهت، العقوبة البرزخية، والمقصود وجوب الإيمان بهذا وما يكون في البرزخ ومما يكون فيه سؤال الملكين العبد من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فإن كان من أهل الإيمان أجاب، ألهمه الله جوابًا فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمدﷺ.

فتقول الملائكة: ما أعلمك؟ كيف علمت هذا؟

فيقول: قرأت القرآن فآمنت وصدَّقت، وأما غير المؤمن فيقول: ها .. ها .. لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، ثمَّ تقول له الملائكة: ما دريت وما تليت، فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل من يليه إلا الجن والإنس نسأل الله العفو والعافية لنا ولكم في الدنيا والآخرة.

৯৯◊৫৫

«والإيمان بشفاعة النبي ﷺ، وبقوم يخرجون من النار بعدما احترقوا وصاروا فحما، فيؤمر بهم إلىٰ نهر علىٰ باب الجنة -كما جاء في الأثر- كيف شاء الله، وكما شاء، إنما هو الإيمان به والتصديق به».

الشفاعة: معناها اللغوي من الشفع: وهو انضمام الأفراد علىٰ بعضها فتصير شفعًا ضد الوتر، والشافع والمشفوع له بانضمامهما إلىٰ بعضهما صارَا شفعًا.

ومعناها في العُرف: **سؤال الخير للغير، فإذا توسطت لشخص عند آخر ليسقط دينه أو يمد له في المهلة أو يضع عنه شيء من الدين فأنت شافع سألت خيرًا لغيرك.**

والشفاعة شرعًا: **هي سؤال من رضي الله قوله وعمله ربه مغفرة ذنوب بعض المجرمين.**

والشفاعة تتضمن مسائل:

المسألة الأولىٰ: **أقسامها:**

فهي ثلاثة أقسام:

القسم الأول: **مجمع عليه، فلا أظن ينكره أحد من المنتسبين للإسلام حتىٰ المبتدعة وهي الشفاعة العظمىٰ، التي هي الشفاعة في فصل القضاء وأنها خصيصة لمحمد ﷺ.**

القسم الثاني: الشفاعة في رفع درجات بعض أهل الجنة، وهذه عامة يشترك فيها مع النبي ﷺ غيره من أهل الإيمان، وهذه كذلك لا أظن أن ينكرها.

القسم الثالث: الشفاعة في أهل الكبائر وهذه محل لنزاع بين أهل السنة والجماعة ومخالفيهم من المبتدعة فإنهم ينكرونها، لما هو معلوم أن الخوارج يكفرون راكب الكبيرة في الدنيا ويستحلون دمه وماله ويحكمون عليه بالخلود في النار إن لم يتب منها ووافقتهم المعتزلة علىٰ هذا الشطر الأخير، وخالفتهم في الحكم الدنيوي، قالوا: هو في منزلة بين المنزلتين وكلتا الطائفتين ضلت وأضلت، والشفاعة في أهل الكبائر من الموحدين أقسام منها:

الشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها.

الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها.

هذه أهل السنة يؤمنون بها ويصدقون بما جاء فيها وهذه عامة، هناك شفاعات خاصة بالنبي ﷺ بالإضافة للشفاعة العظمىٰ التي يعتذر عنها أولو العزم من الرسل، يعتذر عنها آدم فنوح فإبراهيم فموسىٰ فعيسىٰ عليهم السلام، وينتهي أمر الناس إلىٰ محمد ﷺ فيقول: أنا لها، أنا لها.

هاتان الشفاعتان إحداهما في عمه أبي طالب؛ فإنه يشفع فيه فيخرجه إلىٰ ضحضاح من النار يغطي أخمصيه لكن يغلي منه دماغه عافانا الله وإياكم.

شفاعة أخرىٰ خاصة له وهي شفاعة لأهل الجنة بأن يدخلوا الجنة، يشفع لأهل الجنة بدخولها، تكرمة له من الله ﷻ .

المسألة الثانية: مذاهب الناس في الشفاعة:

الناس في الشفاعة ثلاثة مذاهب: إفراط، وتفريط، ووسط.

فقوم أنكروا الشفاعة في أهل الكبائر لفساد معتقدهم وهؤلاء هم المبتدعة ومنهم الخوارج والمعتزلة.

القسم الثاني: غلاة في إثبات الشفاعة وهم أهل الخرافة من أهل التصوف فإنهم يثبتونها لمن يزعمون أن لهم الولاية في الدنيا والآخرة؛ إثباتًا مطلقًا، ومن ذلك أنهم يأتون إلىٰ المقبورين من يزعمون فيهم الولاية فيسألونهم الشفاعة والمدد.

القسم الثالث: هم أهل السنة وهم الوسط في هذا الباب كما أنهم الوسط في كل شيء، جعلهم الله كاللبن الذي يخرج بين قذرين وهما الفرث والدم فيخرج شرابًا سائغًا لذيذًا.

المسألة الثالثة: أهل السنة يثبتون الشفاعة بشرطين:

أحدهما: إذن الله للشافع، ولا يأذن الله إلا لمن رضي قوله وعمله.

الثاني: رضاه عن المشفوع فيه، ويجمع هذين الشرطين من الكتاب الكريم قوله تعالىٰ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ

أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦].

فجمعت الآية هذين الشرطين الإذن والرضا عن المشفوع فيه، والله لا يرضىٰ إلا عن أهل التوحيد، فقد أخرج البخاري وغيره عن أبي هريرة ﵁ قال: سألت رسول الله ﷺ: «من أسعد الناس -يا رسول الله- بشفاعتك يوم القيامة؟

قال: ما كنت أظن أن يسألني عن هذا الحديث يا أبا هريرة أول منك، لما عرفته منك من حرصك علىٰ الحديث، أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو قال خالصًا من نفسه»[(١)].

يتحصل من هذا:

أولًا: إثبات الشفاعة للنبي ﷺ ولغيره بالدليل.

والثاني: أن هذه الشفاعة ليست شفاعة مطلقة عند أهل السنة، بل هي شفاعة بشروطها.

كذلك يكون إثبات الشفاعة بالأدلة ردٌّ علىٰ أهل التكفير، الذين يكفرون بالكبائر، هذا رد عليهم.

---

(١) خ (٩٩، ٦٢٠١)، ن (٣/ ٤٢٦) برقم (٥٨٤٢)، حم (٣٧٣) برقم (٨٨٤٥)، ك (١/ ١٤١) برقم (٢٣٣)، كنز (١/ ٦١٥) برقم (١٧٥٨)، وصححه الألباني في صغه (٢/ ١٠٢) برقم (١٥٢٠)، ظج (٢/ ٨٧) برقم (٨٢٥)، مش (٢١١) برقم (٥٥٧٤).

«والإيمان بأن المسيح الدجال خارج، مكتوب بين عينيه (كافر) والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كائن وأن عيسىٰ ابن مريم عليه السلام ينزل فيقتله بباب لُدٍ».

المسيح: مسيحان: مسيح؛ ولي الله من مصطفيه الأخيار وهو عيسىٰ بن مريم -عليه وعلىٰ أمه الصلاة والسلام- سُمّي مسيحًا، قيل: لأنه ممسوح القدم ليس فيها أخمص تعرفون خمص القدم؟ يعني: الذي في باطن الرجل من جهة الكعب من داخل، وقيل لأنه يسيح في الأرض، ينشر دين الله، يحكم بشرع محمدﷺ، فإن الله عز وجل جعله لهذا ينزل آخر الزمن، يحكم بشرع أخيه محمدﷺ فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، وليس أمام الناس إلا إسلام أو سيف، ليست هناك جزية، الجزية موضوعة.

ونفسه ينتهي حيث ينتهي بصره، ولا يحل لكافر أحس نفسه أن يبقىٰ، أي يموت الكافر هذا حاصل ما جاء فيه من الأحاديث.

فالأحاديث فيه متواترة، ومما جاء فيهﷺ: **«أنه يلحق الدجال فيقتله بباب لد في الشام، وذلكم أنه ينزلﷺ علىٰ المسلمين في جامع دمشق، وهم ينتظرون صلاة الصبح، ينزل في كوكبة من الملائكة علىٰ المنارة الشرقية، فإذا رآه المسلمون وقد أقيمت الصلاة يتأخر القائم من آل محمدﷺ، فيقول له: مكانك إنما أقيمت لكم وفي لفظ: أئمة هذه الأمة منها.**

فإذا صلىٰ اجتمع عليه المسلمون، فيمسح علىٰ وجوه أقوام ويخبرهم بدرجاتهم في الجنة، الله أكبر، وحي يوحىٰ، ثم يشاور المسلمين في هذا الدجال فيقول: نقتله أو أدعو الله عليه؟

فيقولون: يا نبي الله يا روح الله نقاتله، فيلحق به، فإذا رآه الدجال وهو المسيح الثاني، ذاب كما يذوب الملح في الماء، قهر عدو الله بولي الله ومن معه من أهل الإيمان فيعلوه بالسيف فيقتله»(١).

المسيح الثاني: هو المسيح الدجال: هو الذي ذكره المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فإذن يتحصل من هذا ظهور مسيحين: أحدهما عدو الله الذي يدَّعي الربوبية؛ فيبعثه الله امتحانًا للعباد حتىٰ يُميز الصادق في إيمانه من الكاذب، **«وهو يمسح الأرض، ويجوب أرض الله كلها إلا مكة والمدينة، وينزل بالسبخة ويعلو جبل أحد فيدق بعصاه.**

ويقول: ما هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد، والمدينة يومئذ لها سبعة أنقاب كلما أتىٰ نقبًا وجد عليه ملكين مصلتي السيوف، يمنع عدو الله من الدخول.

ثم ترجف المدينة ثلاث مرات تهتز فيخرج كل منافق ومنافقة، وفاسق

---

(١) جه (٢/ ١٣٥٩) برقم (٤٠٧٧)، حم (٤/ ٣٣٨) برقم (١٨٩٩٦)، طس (٢/ ٣٤٠) برقم (٢١٦٥، ٤/ ٢٤) برقم (٣٥١٥)، مجز (٣/ ٦٦١) برقم (٥٨٣٠، ٥٨٣١)، كنز (١٤/ ٣٤٩) برقم (٣٨٧٤٢، ١٤/ ٣٨٠) برقم (٣٨٨٣٣)، ك (٤/ ٥٨٦) برقم (٨٦٣٢).

وفاسقة، ويعتصم بها أهل الإيمان؛ فيقولون: مكاننا حتىٰ نموت ثم يخرج إليه رجل من أهل المدينة مؤمن فيقول أتؤمن بي؟

فيقول: لا، أنت كافر -كما أشار الشيخ الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ- **مكتوب علىٰ جبهته (ك ف ر)، يقرؤها كل إنسان واضحة، لكن من عمي البصيرة لا حيلة فيه؛ فيضربه بالسيف فيجعله جزلتين** -أي: قطعتين- **ويمشي بينهما، ثم يقول لأتباعه: أرأيتم لو أحييته أتؤمنون بي؟**

فيقولون: نعم.

ثم يقول له: قم؛ فيقوم، فيقول: أتؤمن بي؟ أنا قد أحييتك.

فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة؛ فيريد قتله فلا يُسلط عليه».

ومن الأحاديث التي جاءت فيه أن معه جنة ونار؛ فمن مات مؤمن به أدخله جنته وهي نار عليه، ومن قتله؛ فإنه يلقيه في ناره وهي جنة عليه، وأنه سريع كالغيث الذي استدبرته الريح يسرع السحاب.

وأنه إذا أتىٰ أهل قرية فردُّوا عليه قوله تمحل قريتهم تصير قحط، وإذا قرية أجابته تصير خصب، هو امتحان للعباد، وأنه يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، ويأتي الخربة فتخرج كنوزها **بإذن الله»**[1]. ما عنده شيء؛ لكن ذلك امتحان وغير ذلك من الأحاديث في المسيح

---

(١) الحديث السابق.

الذي هو ولي الله وعبده ورسوله، وروح منه، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم متواترة، والأحاديث في المسيح الذي هو عدو الله كافر كذلك متواترة أيضًا، هذا رد علىٰ من أنكرها.

«والإيمان قول وعمل يزيد وينقص كما جاء في الخبر: أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا».

هذا تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في حد الإيمان الشرعي وأنه قول وعمل يزيد وينقص، فيعنون بالقول: قول اللسان، وقول القلب، فأساس أقوال اللسان الشهادتان، ثم يأتي بعدهما القرب القولية كقراءة القرآن والدعاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتسبيح والتهليل والتكبير والتحميد وإلىٰ غير ذلك مما هو قول طيب، ومنه الشهادة بالحق، والذبّ بالقول الجميل المحقّ عن عرض المسلم.

وقول القلب وهو ما يعتقده من العقائد الصحيحة في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، هذا هو قوله، وعمله حركته نحو الطاعة، فعلىٰ سبيل المثال حين تسمع الأذان لك حالتان: حالة هي اعتقادك أن هذه الصلاة التي دخلت فرض واجب عليك فهذا هو قول قلبك، وحالة هي عزمك عليها لأنها فرض عليك هذا هو عمل قلبك كونك تتحرك لهذه الصلاة وتعزم عليها، وكونك تعتقدها فريضة هذا هو قولك، قلبك يعتقد هذا، وحركته نحوها من عزم وتصميم هذا عمله.

وعمل الجوارح معلوم كالصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة وكثرة الخطىٰ إلىٰ المساجد وغير ذلك.

(يزيد وينقص): والمعنىٰ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، واستدل المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ زيادة الإيمان ونقصه بهذا الحديث وهو صريح: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**»[1]، هذا في باب المعاملات أحسنهم خلقًا في باب المعاملات.

ووجه الدلالة: أن ما دون الأكمل هو ناقص، والكل يعلم أن من ضمَّ النوافل كلها (كل ما يسمع من نافلة عملها) إلىٰ الفرائض إيمانه أزيد من إيمان من ترك النوافل كلها أو اقتصر علىٰ بعضها، فهذا الأخير إيمانه ناقص بالمقارنة إلىٰ ذاك، وذاك إيمانه أكمل، ومن المعلوم أن أكمل عباد الله من البشر هم الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

---

(١) ت (١١٦٢، ٢٦١٢)، د (٤٦٨٢)، ن (٩١٥٤)، حب (٤٧٩، ٤١٧٦)، هق (٩١٥٤، ٢٠٥٧٢)، هب (٢٧، ٧٩٧٦، ٧٩٧٧، ٧٩٨١، ٧٩٨٣، ٨٧١٩)، ك (١، ٢، ٢٣، ١٧٣)، طس (٤٤٢٢)، حم (٧٣٩٦، ١٠١١٠، ١٠٨٢٩، ٢٤٢٥٠، ٢٤٧٢١)، ع (٤٢٤٠)، ش (٢٥٣١٩، ٢٥٣٢١، ٣٠٣٦٩، ٣٠٣٧٠، ٣٠٣٧١، ٣٠٤٣٥)، مجز (١٩٤، ١٩٦، ٧٦١٥، ١٢٦٦٩، ١٢٦٧٣)، جص (٢١١٠، ٢١١١، ٢١١٢، ٢٤٥٨)، كنز (٦٤، ٥١٣٠، ٥١٣١، ٥١٥٥، ٥١٧٩، ٥١٣٨، ٥٢٠٢، ٥٢٠٣، ٥٢٤١، ١٠٥٣١)، مشكل آ ط (٣٧٨٨، ٣٧٨٩)، إبك (٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦)، وصححه الألباني في سص (٢٨٤، ٧٥١، ١٥٩٠)، آدابز (١٨٩)، تحقيق الإيمان لابن تيمية (١/ ١٣٢، ١/ ١٥٠)، تحقيق الإيمان لابن سلام (١/ ٢٩)، صج (١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٥٧٨)، صغه (١٩٢٣، ٢٦٤٦، ٢٦٦٠)، مش (٣٢٦٤).

ثم أصحابهم مع تفاوتهم في ذلك، وأكمل هذه الأمة إيمانًا من أتباع محمدﷺ أصحابه، وأكمل الجميع إيمانًا هو أبو بكر الصديق ﷺ ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم بقية العشرة وهكذا.

«ومن ترك الصلاة فقد كفر، وليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة، من تركها فهو كافر، وقد أحلَّ الله قتله».

تارك الصلاة له حالتان:

إحداهما: أن يتركها جهلًا يظن أن الواجب عليه هو الشهادتان فقط، والصلاة أمر كغيرها من العبادات التي لم تفرض، جاهل، فهذا حقه أن يعرف وجوب الصلاة وأن يُبيِّن له بما يكشف عنه جهله، فإن صلىٰ فهو من المسلمين له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، وإن لم يصلي كان كافرًا لأنه تركها عامدًا، تركها عن علم.

الحالة الثانية: أن يتركها عالمًا بوجوبها، يعلم وجوبها لكنه تركها، وهذا له حالتان:

١ - أن يتركها جاحدًا، بل الجاحد للصلاة لو عملها ما نفعته فلابد من عملها مع اعتقاد وجوبها، وأنها من الفرائض الواجبة علىٰ الأعيان، فهذا الذي تركها جحودًا بعد البيان له، اتفق الأئمة علىٰ أنه كافر مرتد فيستتاب فإن تاب وإلا قتل، وإن مات علىٰ هذا العمل فإنه لا يغسل ولا يكفن ولا يصلىٰ ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا يرثه أهله المسلمون.

بل الحاكم يأخذه ويصرفه في مصارف المسلمين علىٰ الفقراء والمساكين والجهاد في سبيل الله وإلىٰ غير ذلك من مصارف المسلمين،

وقبل موته لا يناكح أي لا يزوج ولا تؤكل ذبيحته ولا يعاد إن مرض ولا يؤاكل ولا يشارب.

٢- أن يتركها كسلًا وتهاونًا مع إقراره بوجوبها، وهذا فيه قولان لأهل العلم:

أحدهما: أنه فاسق وهذا هو قول أبي حنيفة والزهري ومالك والشافعي وهو إحدىٰ الروايتين عن أحمد -رحم الله الجميع-، قالوا: فاسق.

والقول الثاني: أنه كافر، وقد اتفق الجميع علىٰ أنه يستتاب ثلاثًا كالجاهل فإن تاب وإلا قتل، إلا أبا حنيفة قال: يحبس يعزر حتىٰ يصلي أو يموت.

وعلىٰ القول بتفسيقه، قتله حدًّا، والمعنىٰ أنه يغسل ويكفن ويصلىٰ عليه ويدفن في مقابر المسلمين ويدعىٰ له ويرثه المسلمون من أهله.

وعلىٰ القول الثاني (التكفير) قتله ماذا؟ أجيبوا، قتله ردة.

والقول الثاني هو الراجح عند المحققين من علمائنا ومنهم الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومنهم الشيخ بن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرهم، أئمة لا يحصون، وهذا الذي يترجح عندنا لأدلة منها قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:٥].

والشاهد من الآية: تعليق تخلية سبيل الكفار علىٰ هذه الأمور الثلاثة، فإن تابوا: أي أسلموا لله، كانوا بدين الإسلام، استجابوا لله ورسوله، شهدوا الشهادتين وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة.

وفي الصحيحين عن بن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة؛ فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم إلا بحق الإسلام وحسابهم علىٰ الله**»(١). والشاهد منه: تعليق عصمة دم الكفار وأموالهم علىٰ الأمور الثلاثة: وهي الشهادتان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وما كان معلقًا عليه فإنه لا يتم إلا باكتماله.

ومنها قوله ﷺ: «**العهد الذي بيني وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»(٢). ولم يُفَصِّل.

وقول الإمام ﵀: «وليس شيء من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة»؛

---

(١) متفق عليه، خ برقم (٢٥، ٣٨٥، ١٣٣٥، ١٣٨٨، ٢٧٦٨، ٦٥٢٦، ٦٨٥٥)، م (١/ ٥١) برقم (٣٢)، (١/ ٥٢) برقم (٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦).

(٢) ت (٢٦٢١)، ن (٤٦٣)، جه (١٠٧٩)، حب (١٤٥٤)، ك (١١، ٦٨٣٠)، جص (٧٥٩٢، ١٣٢٩٥، ١٤٥٢٤)، حم (٢٢٩٨، ٢٣٠٥٧)، هق (٣٢٩، ٦٢٩١)، هب (٤٣، ٢٧٩٥، ٥٥٨٩)، دار (٢)، ش (٣٠٣٩٦)، إبك (٨٧٥)، وصححه الألباني في صح (٤١٤٣، ٧٣٣٩)، صجه (٨٨٤، ٣٢٥٩)، صغه (٥٦٤، ٥٦٧)، ثم (١/ ٥٢)، «غاية المرام» (٢٠)، مش (٥٧٤، ٥٨٠).

هذا يشير إلىٰ قول عبد الله بن شقيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أدركت أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة»[١].

---

(١) ت (٢٦٢٢)، ك (١/ ٤٨) برقم (١٢)، وصححه الألباني في سص (١/ ٢٤)، في الكلام عن الحديث (٨٧)، ثم (١/ ٥٢) ، «حكم تارك الصلاة» (١/ ١٧)، صغه (٥٦٥)، مش (٥٧٩).

«وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، نقدم هؤلاء الثلاثة كما قدمهم أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا في ذلك، ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورىٰ الخمسة: علي بن أبي طالب وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف كلهم يصلح للخلافة وكلهم إمام.

ونذهب في ذلك إلىٰ حديث بن عمر (كنا نعد ورسول الله ﷺ حي وأصحابه متوافرون أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت)، ثم من بعد أصحاب الشورىٰ أهل بدر من المهاجرين ثم أهل بدر من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ علىٰ قدر الهجرة والسابقة أولًا فأولًا.

ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ القرن الذي بعث فيهم، كل من صحبه سنة أو شهر أو يوم أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه له من الصحبة علىٰ قدر ما صحبه وكانت سابقته معه وسمع منه، ونظر إليه نظرة فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه ولو لقوا الله بجميع الأعمال، كان هؤلاء الذين صحبوا النبي ﷺ ورأوه وسمعوا منه ومن رآه بعينه وآمن به ولو ساعة أفضل لصحبته من التابعين ولو عملوا كل أعمال الخير».

هذا الفصل يقرر به الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ معتقد أهل السنة في الصحابة رضي الله عنهم، فالصحابة جمع صحابي، ويقال صاحب.

ومعناه في اللغة: المعاشر.

واصطلاحًا: كل من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات علىٰ ذلك، ولو تخللت حياته ردة ثم رجع عنها، ولهذا كانوا يقولون لمن ارتد من الصحابة ثم عاد: أسلمت علىٰ ما أسلفت من خير، ردته التي من الله عليه بالعودة للإسلام والإقلاع عنها لم تبطل صحبته لأن الإسلام يجب ما قبله.

وهذا الفصل يتضمن في الصحابة رضي الله عنهم ما يأتي:

١- تقديم الثلاثة علىٰ غيرهم، وبيَّن المصنف رحمه الله دليل ذلك وهو من السنة التقريرية وهو حديث صحيح حديث ابن عمر(١).

٢- بقية العشرة: والذي استقر عليه أمر أهل السنة أن الأربعة أفضل من غيرهم، وهم علىٰ هذا الترتيب أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي يربعون بعلي، هذا آخر ما استقر عليه أمر أهل السنة، وهم مجمعون علىٰ ترتيبهم في الخلافة مثل ترتيبهم في أفضلية الصحبة كما أنهم مجمعون علىٰ أن من طعن في خلافة واحد منهم فهو أضل من حمار أهله فاسق.

٣- تفضيل أهل بدر من المهاجرين ثم تفضيل أهل بدر من الأنصار ثم

---

(١) خ (٣٤٥٥، ٣٤٩٤)، د (٤٦٢٨)، حب (٧٢٥١)، كنز (٣٦٧٢١)، ع (٥٧٨٤)، طب (١٣٣٠١)، مجز (٤٦٨٩)، «معرفة السنن والآثار» للبيهقي (٩٩٥).

ولفظ البخاري: «كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم».

بعد ذلك سائر الصحابة، فهم رضي الله عنهم متفقون في شرف صحبة النبي ﷺ، وتجب لهم على الأمة التأدب بما أدبهم به ﷺ، وكذلك اعتقاد ما صحَّ من فضائلهم ومناقبهم رضي الله عنهم ومن ذلك قوله ﷺ: «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا**»(١). وقوله ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو كان لأحدكم مثل أحد ذهبًا فأنفقه في سبيل الله ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»(٢).

وأهل السنة كذلك مجمعون على أنهم هم خاصة محمد ﷺ من هذه الأمة وأنهم هم أسعد الأمة بشفاعته، كما أنهم مجمعون على الإمساك عما شجر بينهم من الفتن أقوالًا وأعمالًا، يمسك أهل السنة عن ذلك ويكفون عنه، ولا يخوضون فيه ثم خلص رحمه الله إلى أمرين:

الأمر الأول: أن الصحبة قد تحصل بمجالسة النبي ﷺ ساعة والنظر إليه مع الإيمان، لكن من لقي النبي ﷺ لكن لم يؤمن به إلا بعد موته هذا ليس من الصحابة هذا مخضرم تابعي.

الأمر الثاني: أن أدنى الصحابة منزلة في الصحبة هو أفضل ممن بعده من التابعين ولو لقي هؤلاء التابعون بجميع الأعمال الصالحات، فأقل

---

(١) جص (٥٤٦)، طب (١٤٢٧، ١٠٤٤٨)، مجز (١١٥٨٠، ١١٥٨١، ١١٩٧٣)، كنز (٩٠١)، «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٤٢٦٣)، وصححه الألباني في سص (٣٤)، صج (٥٤٥).

(٢) متفق عليه خ (٣٤٧٠)، م (٢٥٤٠، ٢٥٤١).

الصحابة صحبة أفضل من أئمة التابعين لماذا؟ لأن شرف الصحبة لا يدانيه شرف وقد يوجد من التابعين من هو أفقه من بعض المتأخرين في الصحبة لكن شرف الصحبة لا يدانيه شرف، فهو أفضل شرف في الدنيا بعد الإسلام.

«والسمع والطاعة للائمة وأمير المؤمنين البر والفاجر، ومن ولي الخلافة واجتمع الناس عليه ورضوا به، ومن عليهم بالسيف حتىٰ صار خليفة وسمي أمير المؤمنين».

هذا هو المحك، هذا هو محل اختبار في الحقيقة، وأكثر الحرب بين أهل السنة ومخالفيهم من الخوارج ومن لفَّ لفهم في هذا الباب، وهذا الباب أولًا أنتم تلحظون أن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكذلك المتقدمون مثل البربهاري[1] يركزون علىٰ أمير المؤمنين أي الخليفة الأعظم؛ لأن الإمارة القطرية لم تكن في عهدهم، إنما حدثت بعدهم، ومن هنا نقول أن الإمارة العامة التي تجب للقائم عليها السمع والطاعة في غير معصية الله في حال العسر واليسر والمنشط والمكره إمارتان:

إحداهما: الإمارة العظمىٰ، وهذه هي الخلافة والقائم بها يسمىٰ خليفة ويدعىٰ أمير المؤمنين.

الثانية: الإمارة القطرية وهي: أن يغلب رجل من المسلمين علىٰ قطر أو أقطار فينتزعها ويعلوها وتصبح كلمته نافذة في أهل ذلك القطر أو تلك الأقطار هذا هو أمير قطري، وقد أجمع الأئمة علىٰ أنه له السمع والطاعة

---

(١) البربهاري: شيخ الحنابلة القدوة الإمام، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري الفقيه، كان قوالًا بالحق، داعية إلىٰ الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم، صحب المروذي، وصحب سهل بن عبد الله التستري. «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٩٠).

وسائر الحقوق والواجبات ما للخليفة في عموم المسلمين، حتىٰ ولو انتزع هذه من خليفة مثل ما حصل آخر دولة بني العباس؛ صار المسلمون دويلات والخليفة علىٰ بغداد ومن حولها ومع هذا فالمسلمون مجمعون علىٰ أن الكل إمام في ولايته، هذا وهناك عدة مباحث:

المبحث الأول: في طرق الإمارة.

الإمارة والإمامة لها طرق أجمع المسلمون علىٰ أن من وصل إليها كانت إمارته وولايته شرعية سواء كان ذلكم الأمير برًّا أو فاجرًا:

الطريق الأول: طريق البيعة من أهل الحلّ والعقد وهذا كما حصل للصديق ﵁، فإنه لما بايعه عمر وأبو عبيدة ﵄ تبعهم المسلمون علىٰ ذلك، ثم بعد ذلك من تيسر، بايعه المسلمون في المدينة، فأصبحت خلافته عامة وإمارته ﵁ نافذة في جميع أهل الإسلام.

الطريق الثاني: الوصية له من أمير قبله؛ كما حصل مع أبي بكر ﵁ لما أحس بدنو أجله كتب وصية لعمر بن الخطاب يوصي المسلمين فيها باستخلافه، وأنه اختاره فبايعه المسلمون ونفذت خلافته.

الطريق الثالث: اجتماع أهل الشورىٰ في الإمارة؛ فإذا اجتمع شورىٰ الحاكم سواء كانوا معينين سابقًا أو عينهم حين أحسَّ بقرب أجله واجتمعوا علىٰ رجل وبايعوه نفذت إمارته، وهذا كما حدث لأمير المؤمنين عثمان ﵁؛ فإن أمير المؤمنين عمر ﵁ عيَّن أهل الشورىٰ المعروفين فاتفقوا علىٰ

مبايعته فبايعه المسلمون الحاضرون في ذلك الوقت ونفذت خلافته فيمن لم يحضر.

الطريق الرابع: مبايعة لاجتماع أهل العصر عليه؛ كما حدث لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

الطريق الخامس: تنازل من قبله له؛ كما حدث من الحسن بن علي رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه، فأن معاوية كان أمير المؤمنين حقًّا شرعًا حين تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه له بالخلافة ورضي الله عن معاوية.

الطريق السادس: الغلبة والقهر؛ فمن غلب أميرًا وانتزع الإمارة منه ونفذت كلمته صار حاكمًا علىٰ المسلمين.

ومن الطرق المعاصرة: طريق الانتخابات، وقد عرفتم فتوانا فيها وأنها ضرورة وأن نتعامل معها بترشيح من نرىٰ فيه المصلحة، وسد الطريق علىٰ أهل الأهواء والظلمة من كفار وأهل بدع وغير ذلك، هذه أيضًا طريق من طرق الولاية.

المبحث الثاني: في السمع والطاعة.

فقد دلَّت النصوص علىٰ ما قرره المؤلف من السمع والطاعة في غير معصية الله لمن ولي أمر المسلمين برًّا أو فاجرًا ، دلَّ الكتاب والسنة علىٰ ذلك.

فالدليل من القرآن الكريم قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩].

ومن السنة المتواترة: «**علىٰ المسلم السمع والطاعة لما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية**»(١).

وقوله ﷺ: «**ألا من ولي عليه ظالم فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتي ولا ينزعن يدًا من طاعة**»(٢).

وهذا السمع والطاعة مقيدة بقيدين:

أحدهما: أن تكون في غير معصية الله كما سمعتم من الحديث.

والثاني: أن يكون ما أمر به الحاكم المسلم في المقدور، فأن أمر بما لا يقدر فالأمر فيه سعة، فنحن كما قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

لكن إذا قهرنا ماذا نصنع؟ هذا شيء آخر، وهنا نرىٰ أن نختم هذا البحث المتعلق بالسمع والطاعة للأمير برًّا كان أو فاجرًا، ما قرره أهل العلم والإمامة وجلالة القدر والسابقة في الفضل أن ما يصدر عن ولي الأمر لا يخلو عن أحوال ثلاثة:

إحداها: أن يكون طاعة لله ﷻ فتجب طاعته فيه طاعة لله ولرسوله ﷺ.

---

(١) متفق عليه خ برقم (٢٧٩٦، ٦٧٢٥)، م برقم (١٨٣٩).

(٢) م (١٨٥٥)، حم (٢٤٠٢٧)، دار (٢٧٩٧)، كنز (١٤٨٣٩)، «مستخرج أبو عوانة» (٥٧٩٢، ٥٧٩٣)، الألباني في ظج (١٠٧١)، مش (٣٦٧٠).

الثاني: أن يكون من الأمور التي يسوغ فيها الاجتهاد أو أمر بمندوب، فتجب له فيه الطاعة جمعًا للكلمة حتىٰ لا تتفرق.

الثالث: أن يأمر بمعصية أو ينهىٰ عن طاعة كذلك، فهذا لا سمع لهم فيه ولا طاعة في ذلك، لكن لا نظهر عليهم الشناعة، فمثلًا لو أن الأمير أغلق مساجد البلد فقال: لا تصلوا جماعة، صلُّوا في بيوتكم هذا معصية فنحن بقلوب نبغض هذا ونمقته ونحاول الصلاة في مساجدنا؛ فإذا أغلقها بالقوة وحال بيننا وبينها بالقوة عذرنا الله عَزَّوَجَلَّ، نصلي في بيوتنا مع بعضنا لهذا العمل وكراهيتنا، لكن هل نظهر الشناعة عليه ونشيع غلطه في الخاصة والعامة؟

الجواب: لا، نسكت، ولا نعمل مظاهرات ولا مسيرات ولا شئ من هذا إن استطاع العقلاء والحكماء والفضلاء مناصحة ولي الأمر وبيان الحق له كان بها، ثم إن قبل كان بها وان لم يقبل برئت الذمة وأن لم يستطيعوا فلم يكلفهم الله فوق طاقتهم.

«والغزو ماضٍ مع الأمراء إلىٰ يوم القيامة -البر والفاجر- لا يترك وقسمة الفيء، وإقامة الحدود إلىٰ الأئمة ماض، ليس لأحد أن يطعن عليهم، ولا يثار عليهم، ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة من دفعها إليهم، أجزأت عنه برًّا كان أو فاجرًا.

وصلاة الجمعة خلفه، وخلف من ولاه جائزة باقية تامة ركعتين من أعادهما فهو مبتدع، تارك للآثار، مخالف للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيء إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة -من كانوا- برهم وفاجرهم، السنة بأن يصلي معهم ركعتين ويدين بأنها تامة لا يكن في صدرك من ذلك شك».

ذكر المصنِّف هنا بعض خصائص الأمير، وقد قدمنا الأمير من هو! وكما قدمنا أنواع الإمارة ولا يحتاج إلىٰ الإعادة.

فبدأها بالجهاد: وذلكم حين قال: (والغزو ماض)، والمقصود بالجهاد هو جهاد الطلب، وهو تجييش الجيوش وإعداد العدة وتجنيد الجنود ورفع الراية لقتال من يليه من الكفار إعلاءً لكلمة الله، فهذا جهاد إلىٰ حكام المسلمين؛ فمن دعا إليه فهو جاهل أو مبتدع ضال مضل فالحاكم المسلم هو الذي ينظر هو ومن معه، هل الأمة تطيق الجهاد؟

جهاد الكفار أو لا، فإن رأىٰ أنه مع القوة والقدرة التي تمكنه من قهر من بليه علىٰ الإسلام أو السيف أو الجزية فعل، وإن رأىٰ أنه ليست عنده

قدرة فإنه يكتفي بالعهود والمواثيق والمهادنات ولا تجوز منازعته في ذلك أبدًا.

الثاني: قسمة الفيء، إليه يقسمها حسبما يرىٰ من المصلحة، والأصل أنه يجعلها أخماسًا، أربع أخماس للغانمين السرية أو السرايا، وخمس هو يأخذ منه وينفقه في مصارف الخمسة العامة التي تضمنتها آية الحشر.

الثالث: إقامة الحدود، فالحدود ليست إلينا فنحن لا نقيم الحدود، إن كان حكامنا يقيمونها وإلا فلا علينا من تركها بأس.

الرابع: دفع الصدقات، أي الزكوات إذا كان الحاكم يجمع الزكوات من أهل البلد، زكاة الماشية والحبوب والثمار يجمعها فإنا لا نتصرف بها، وإن كان لا يجمعها ولا يهتم بها فكل يزكي ماله يصرفه في المصارف الثمانية، الفقراء والمساكين وغيرها مما تضمنته آية براءة.

الخامس: صلاة الجمعة: يصلىٰ خلف الحاكم أو من ينيبه، ويعتقد أنها تامة يصليها ركعتين ومن أعادهما ركعتين أو صلىٰ ظهرًا كان هذا مبتدعًا ضالًّا.

سؤال: ذكرتم قول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليس من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة»[1].

هل من قال أن تارك عمل الجوارح بالكلية لا يكفر أنه قال بقول

(١) انظر (ص٨٦-٨٧).

المرجئة، وأن المسألة ليست خلاف بين أهل السنة مع أنهم يقولون: أنه لا يصير الشخص كامل الإيمان؟

الجواب: هذا الكلام في الصلاة فهمت -بارك الله فيك-؟ وهذه المسألة في الحقيقة أنا قررتها في مواضع كثيرة، فأهل السنة العمل عندهم من الإيمان، من حقيقة الإيمان ومسماه فهمت؟ هذا أولًا.

ثانيًا: أن ترك الأعمال له ثلاثة أحوال:

أحدها: ما كان تركه كفر بالكلية، وهذا في الشهادتين باتفاق لا يدخل أحد الإسلام من غير المسلمين حتىٰ ينطق الشهادتين، وفي الصلاة باختلاف كما سمعتم الآن.

الثاني: ما كان تركه فسق ولا يكفر إلا جاحده وهي بقية أركان الإسلام الزكاة وصيام رمضان والحج، وما شاكلها، ولا يكفر إلا جاحدها.

الثالث: ما كان تركه ينافي الفضيلة، لأن كمال الإيمان كمال واجب وكمال مستحب.

فالأول: نفي الكمال الواجب ترك الزكاة، صيام رمضان، الحج يترك، الحج لا يحج حجة الفريضة؛ فهذه تركها ينافي الكمال الواجب ولا يكفر إلا جاحدها، والثالث: ما تركه ينافي الكمال المستحب، ويقال: ما تركه تفويت فضيلة وهي التطوعات، افهم هذا -بارك الله فيك-، فهمت قاعدة أهل السنة يا ابن السنة؟

«ومن خرج علىٰ إمام من أئمة المسلمين، وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية».

هذا البحث في الخوارج وهو من أوجه النزاع بين أهل السنة ومخالفيهم، وبحث هذه المسألة يتطلب منا أمورًا:

الأمر الأول: في الخروج، فالخروج علىٰ ضربين:

١- خروج عام.

٢- خروج خاص.

فالخروج العام: يشمل كل من رفع السيف وشهره في وجه الأمير القائم وسواء كان هذا الأمير هو الخليفة أو أميرًا قطريًّا، وقد بينًّا معنىٰ هذين في الدرس السابق، وسواء كان هذا الذي يحارب الأمير القائم يكفره أو لا يكفره، وهذا المعنىٰ يدخل فيه البغاة.

فالبغاة يشهرون السيف في وجه الأمير ويعلنون حربه، يعلنون الحرب عليه ولكنهم لا يكفرونه مدعين بدعاوىٰ، وهؤلاء ينبغي للأمير أن يناظرهم ويحاورهم ويناقشهم، فإن ادعوا شبهة كشفها وإن ادعوا مظلمة أزالها، فأن رجعوا إلىٰ الجماعة كف عنهم، وإن أبوا وأصروا قاتلهم، وفي هذه الحال

لا يتبع مدبرهم ولا يجهز علىٰ جريحهم؛ لأن المقصود تأديبهم وقد حصل بقتالهم.

وأما الخروج الخاص: فهو كل من كفَّر بالمعاصي، سواء يكفِّر الأمير القائم أو يكفِّر مَن دونه، أو يكفِّر الأمير ومن يواليه، وقد لا يكفِّر الأمير لكنه يكفِّر عصاة المسلمين بركوبهم المعاصي، هذا تقسيم من تقسيمات الخوارج وهو الأمر الأول.

الأمر الثاني: ينقسم الخوارج إلىٰ قسمين:

١ - محاربة.

٢ - قعدية.

فالقعدية كل من يحرض علىٰ الأمير بإشهار أخطائه أو أخطاء عماله علىٰ الملأ في شتىٰ المحافل في الخطب في المحاضرات في الندوات، وسُمُّوا قعديه؛ لأنهم قاعدون عن الحرب وخوارج لأنهم يحرضون.

والحق أن هذا الصنف من الخوارج هم بذرة الخروج بالحرب، فإن إلهاب مشاعر الخاصة والعامة علىٰ الأمير وأهل الحلِّ والعقد من قضاة وعمال ووزراء وغير ذلك يعبئ الضغائن حقدًا وكراهية، ويوغر الصدور، ثم تكون بعد الحرب إلا أن يشاء الله.

وأما المحاربة: فهم كل من رفع السيف وشهره في وجه الأمير القائم

أو أحد عمَّاله، وهؤلاء المحاربة قسمان:

أولًا: قسم لهم راية معلومة يمكن الوصول إليها، فهؤلاء يناظرهم الأمير القائم ويبين لهم خطأهم وإن دللوا علىٰ خطأ له تراجع عنه، كما فعل علي رضي الله عنه مع أهل النهروان حيث بعث إليهم بن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنه، فإنه ناظرهم وكشف لهم الشبه وفلجهم وكشفهم وغلبهم بالحجة فتراجع أكثرهم.

ثانيًا: المحاربة والعصابات، وهؤلاء قد تكون لهم راية، والظاهر أنهم لهم راية ينطلقون منها، لكن لا يمكن الوصول إليها، ولا يعلم عنهم إلا بعدما يفعلون فعلتهم أو يقفون في شراك العساكر، عساكر الإمارة القائمة فيقبض عليهم، وهؤلاء لا يناظرون أبدًا ولا يحاورون ويكون الأمير القائم مخيرًا فيهم بين ما تضمنته آية المائدة قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣].

فهو يستعمل معهم ما يرىٰ انه يكف شرهم من الإسلام ويردع به غيرهم من الناس، ممن تسول له نفسه مثل عملهم، مُخير بين هذه الأربعة الأمور فأيها يرىٰ فليستعمله هؤلاء هم الخوارج، وهذا هو الذي دلَّت عليه نصوص الكتاب والسنة وأجمعت عليه الأمة ومشىٰ عليه السلف الصالح من

الصحابة إلىٰ اليوم -رضي الله عنهم أجمعين-.

ثم خلص المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ الأمر الثالث، وهو أن هذا الخارجي إذا مات علىٰ ما هو عليه من الخروج فميتته ميتة جاهلية، وفي هذا أحاديث كثيرة حاصلها: أن من بات ليلة أو ليلتين وليس في عنقه بيعة فمات فميتته جاهلية.

«ولا يحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع علىٰ غير السنة والطريق».

هذا تكملة للبحث قبله، الخوارج مبتدعة سواء كانوا محاربة أو قعدية هم مبتدعة، والبغاة إن لم يرجعوا بعد مناقشتهم من قبل الإمام أو موفده فهم مبتدعة، ولا يقال في حق الصحابة ﷺ أنهم مبتدعة لأن الصحابة ﷺ متأولة، فما حدث بين علي ومعاوية ومن معهم من الصحابة رضي الله عنهم هذا من قبيل التأويل، والصحابة لهم من الحصانة الإيمانية والأدب لمكانتهم من رسول الله ﷺ وسابقتهم في الإسلام والفضل علىٰ هذه الأمة ما يوجب الكف عنهم، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا ...**»[1].

وقال ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي...**» الحديث[2].

---

(١) سبق تخريجه (ص٩٠).

(٢) سبق تخريجه (ص٩٠).

«وقتال اللصوص والخوارج جائز إذا عرضوا للرجل في نفسه وماله، فله أن يقاتل عن نفسه وماله، ودفع عنها بكل ما يقدر وليس له إذا فارقوه أو تركوه أن يطلبهم، ولا يتبع آثارهم، ليس لأحد إلا الإمام أو ولاة المسلمين، إنما له أن يدفع عن نفسه في مقامه ذلك، وينوي بجهده أن لا يقتل أحد؛ فإن مات علىٰ يديه في دفعه عن نفسه في المعركة فأبعد الله المقتول، وإن قتل هذا في تلك الحال وهو يدفع عن نفسه وماله رجوت له الشهادة كما جاء في الأحاديث.

وجميع الآثار في هذا إنما بقتاله، ولم يؤمر بقتله ولا إتباعه ولا يجهز عليه إن صرع أو كان جريحًا.

وإن أخذه أسيرًا فليس له أن يقتله، ولا يقيم عليه الحد، ولن يرفع أمره إلىٰ من ولاه الله فيحكم فيه».

هذا المبحث في قطاع الطرق الذين يعرضون للناس جماعات أو أفراد ويتعدون علىٰ نفوسهم وأموالهم، فمن عرضوا له فعليه ما يأتي:

أولًا: الدفاع عن نفسه، فهو حقه المشروع.

ثانيًا: يكون الدفاع هذا بما يكفُّ عنه شر قطاع الطرق واللصوص، فإن انكف شرهم عنه وأمنهم بدون قتل فلا يزد علىٰ ذلك، ولا يعاجلهم بالقتل حتىٰ يغلب علىٰ ظنه أنهم قاتلوه، وهاكم مثالًا: إذا كان المعتدي صاحب

عصا أو سكين أو آلة مثقلة كالمطرقة والمعتدىٰ عليه معه السلاح الفتاك، فأيهم الذي يكون في مقام القوة المهاجم أو المدافع؟ المدافع.

إذن؛ يكفيه أن يهددهم ويطلق النار عليهم تخويفًا، لأن الذي معه عصا لا يظن أنه يهجم بالقوة علىٰ المسلَّح، لكن لو فرضنا أنه هاجمه وغامر، متدرب وعنده حيل يغافله، فله أن يطلق النار عليه بما يعرقله عنه فيده في رجله، وإن أبىٰ غلب علىٰ ظنه أنه قاتله، عرف منه المكر والاحتيال، قتله ولا كرامة عليه.

ثالثًا: إذا هرب هؤلاء لا يتبعهم، لأنهم كانوا يريدون شيئًا منه وهو نفسه أو ماله فخذلهم الله عنه لكن لا مانع أن يحتاط لنفسه، ويتحسس حيث يتوجس هجومهم عليه هذا له، إذا أصيب أحد هؤلاء بسلاح هؤلاء المعتدىٰ عليهم، وسقط علىٰ الأرض من هؤلاء المعتدين؛ فإنه لا يجهز علىٰ الجريح يتركه، لأنه انكف شرُّه عنه وهذه الغاية؛ لأن المقصود قتاله أي ودافعته وليس المقصود قتل هؤلاء، القتل إنما هو آخر علاج كما يقال آخر الدواء الكي، فهو آخر ما يلجأ إليه المعتدىٰ عليه من هؤلاء، إلا الإمام أو الأمير القائم فله أن يتبعهم ويتحين أماكنهم ويتحسسها؛ لأن الإمام ذمته مشغولة بأمن الرعية، فهمتم هذا؟

الإمام ذمته مشغولة بأمن الرعية، أما المعتدىٰ عليه ذمته مشغولة بأمن نفسه، وقد حصل، لكن الإمام لا، لابد أن يجتث عروقهم وجذورهم

ويقوض قواعدهم التي ينطلقون منها حتىٰ يأمن أهل القطر أو الأقطار شرهم، لو وقع أحد المعتدين من قطاع الطرق واللصوص وهم محاربون أسرىٰ في يد المعتدىٰ عليهم ماذا يصنع به؟

يرفع أمره إلىٰ الأمير أو الوالي ثم يتركه، لأن الأمير سينظر في الموضوع هل هذا يستحق القتل أو لا يستحق القتل؟

قد يكون مغررًا به من قاعدة له وراءه أغرته، الأمير ينظر ويجتهد لأن الأمير معه أهل الحلِّ والعقد من العلماء والقضاة والمفتين وأهل شوراه، هم الذين لهم الكلمة فيه، أما المعتدىٰ عليه فحقه أن يسلمه للأمير أو نائبه، ثم خلص المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ أن الذي يقتل دون ماله أو نفسه هذا شهيد، هناك آثار في هذا «**من قتل دون ماله فهو شهيد**»[(١)]. وأما المعتدي المحارب اللص قاطع الطريق، فهذا جاهلي هذا صنع صنيع الجاهلية وسنَّ سنة الجاهلية في القطر.

ꕤ

---

(١) متفق عليه، خ (٢٣٤٨)، م (١٤١)، وكذلك أورد أصحاب السنن دون دينه دون دمه دون ماله فهو شهيد.

«ولا نشهد علىٰ أحد من أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار، نرجو للصالح، ونخاف عليه، ونخاف علىٰ المسيء المذنب ونرجو له رحمة الله».

دخل المؤلف -عليه رحمة الله- في مسائل الحكم، الحكم علىٰ أهل القبلة، والمراد بأهل القبلة هم المصلُّون سُمّوا أهل القبلة لأنهم كلهم يستقبلون الكعبة، فمن مات من أهل القبلة وسيأتي قيد لهذا آخر الرسالة، من مات من أهل القبلة صالحًا تقيًّا علىٰ التوحيد في الظاهر رجونا له رحمة الله.

ومن مات من أهل القبلة علىٰ فسق وفجور خفنا عليه، فلا نقطع إذن لمن مات علىٰ صلاح من أهل القبلة بجنة، وكذلك من مات علىٰ فساد من أهل القبلة لا نقطع له بنار، لأن هذا إلىٰ الله وإلىٰ رسوله ﷺ، وإنما نحن مكلفون بالخوف والرجاء، الخوف علىٰ المسيء والرجاء للمحسن، إلا من شهد له رسول الله ﷺ الجنة فنحن نشهد له بالجنة كالعشرة وأهل بدر وأهل الحديبية وشهد لأفراد منهم ثابت بن قيس ابن شماس وعكاشة بن محصن -رضي الله عن الجميع-.

والحق أن الصحابة رضي الله عنهم كلهم في الجنة والدليل قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠].

الكل موعود بالحسنىٰ وأعظم الحسنىٰ الجنة وما فيها من نعيم وأعظمه رضوان الله كما قال تعالىٰ: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:٧٢].

ورؤية المؤمنين ربهم فيها جعلنا الله وإياكم من خواصها.

والذي شهد له النبيﷺ بالنار الكفار، مثل أبي لهب وأبي جهل وغيرهم، من مات علىٰ كفر متحقق شهدنا عليه بالنار لحديث «من مر علىٰ قبر مشرك يعرفه فليقل يا فلان بن فلان أبشرك أنك من أهل النار»(١). هذا زيادة في عذابه.

ومن لقي الله بذنب يجب له به النار -تائبًا غير مُصر عليه- فإن الله يتوب عليه، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات ومن لقيه وقد أقيم عليه حدَّ ذلك الذنب في الدنيا فهو كفارته، كما جاء في الخبر عن رسول اللهﷺ.

ومن لقيه مصرًّا غير تائب من الذنوب التي قد استوجب بها العقوبة، فأمره إلىٰ الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له. ومن لقيه -من كافر- عذبه ولم يغفر له.

هنا مسألتان:

إحداهما: كأنه تفصيل لما سبقه من بحث في حكم أهل السنة علىٰ من مات من أهل القبلة، وهذا التفصيل مفاده:

---

(١) حم (١٦٢٥١)، طب (١٦١٤٧)، مجز (١٨٣٥١).

١- أن من لقي الله علىٰ ذنب كانت تجب له به النار، لكنه تاب منه فإن الله يتوب عليه والآيات والأحاديث المستفيضة في هذا كثيرة، حتىٰ بعض عوام المسلمين يعلمونها ولله الحمد.

٢- من ركب ذنبًا يوجب الحدَّ، فأقيم عليه حدُّ ذلكم الذنب قرر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن الحدَّ في الدنيا يُطهر، وقد دلَّت النصوص علىٰ قيد وهو إن كان الحدُّ مصحوبًا بالتوبة التي من شروطها الندم علىٰ ما فرط، والعزم علىٰ عدم العودة، والإقلاع عن الخطيئة، فالحد يُطهره، وإن لقي الله مصرًّا علىٰ كبيرته مع الحد؛ فإن الحد جزاء وعقوبة له في الدنيا وأما في الآخرة فهو تحت المشيئة.

٣- من لقي الله علىٰ ذنب تجب له به النار غير تائب فهذا تحت المشيئة؛ إن شاء الله عذَّبه وإن شاء غفر له، وإن عذبه لم يخلده في النار قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨، ١١٦].

وقد جاءت الأحاديث في معنىٰ ما تضمنته هذه الآية فمنها: حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين قال: قال رسول الله ﷺ كلمة وقلت أخرىٰ، قال رسول الله ﷺ: **«من مات يشرك بالله شيئًا دخل النار»**[(١)].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: **«من لقي الله**

(١) متفق عليه، خ برقم (١١٨١، ٤٢٢٧، ٦٣٠٥)، م برقم (٩٢، ٩٣).

لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه وهو يشرك به شيئًا دخل النار»(١).

والأحاديث في هذا أن لم تكن متواترة فمستفيضة، وأهل السنة علىٰ هذا، لأن حاصل هذه الأحاديث وما في معناها القطع لمن مات علىٰ التوحيد بأنه من أهل الجنة، يعني: من مات علىٰ التوحيد فهو من أهل الجنة هكذا نقول قولًا عامًّا ولا نقول فلان، لأننا لا ندري ماذا ختم الله به ولا ندري ما حاله في الدنيا، نقول من مات علىٰ التوحيد فهو مقطوع له بالجنة، وهذا لا يستلزم أنه لا يعذب: لا.

النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أصاب حينما بوب علىٰ هذه الأحاديث، وما في معناها في شرحه علىٰ صحيح مسلم قال: باب الدليل علىٰ من مات علىٰ التوحيد دخل الجنة، دخل الجنة قطعًا، فالموحدون مآلهم الجنة ولو عُذبوا وإن أدخلهم الله الجنة بلا عذاب فهذا من فضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي وسع أرضه وسمائه وفيهما وما بينهما، وإن عذابه كان ذلك بعدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا يسأل عما يفعل، لا لقضائه ولا معقب لحكمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ آمنا به وبكل ما جاء عنه.

المسألة الثانية: في الكفار.

حاصلها: أن الكافر مآله النار، لا يغفر الله له ما دام مات علىٰ الكفر سواء كان كفره أصليًّا كاليهود والنصارىٰ والمجوس الذين يموتون علىٰ مللهم، أو كان رِدَّة، كالذي يرتدُّ من المسلمين فيذهب إلىٰ النصارىٰ أو إلىٰ

---

(١) م (٩٣).

اليهود أو إلىٰ غيرهم من ملل الكفر، كالذي يكون مسلمًا يتعمد الشيوعية ويرتكس في أحضانها -أسأل الله العفو والعافية-؛ فهذا يقطع له بعينه أنه من أهل النار، وقد ذكرت لكم الحديث قبل قليل.

«والرجم حقٌّ علىٰ من زنىٰ وقد أحصن إذا اعترف: وقامت عليه بينة، وقد رَجَمَ رسول الله ﷺ، وقد رجمت الأئمة الراشدون».

الرجم: في اللغة معناه الحذف حسًّا أو معنىٰ، حسًّا بالحجارة أو أي شيء، والمعنىٰ: كالتهمة والظنِّ الكاذب سمَّاه الله رجمًا بالغيب.

وشرعًا: هو ضرب الزاني المُحصن بالحجارة حتىٰ الموت.

وهنا سؤال: ما علاقة هذه المسألة بهذه الرسالة وهي في العقيدة، والرجم من الأحكام الفقهية، ما علاقة الرجم بهذه الرسالة؟ لماذا دوَّنه المُصنِّف الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما دون؟ لماذا ضمنه هذه الرسالة؟

هذا ردٌّ علىٰ الخوارج، فأن الخوارج لا يقولون بالرجم، بحجة أن أحاديثه آحاد، فكيف يترك اليقين المتواتر أي القرآن إلىٰ أخبار يمكن أن يكذب رواتها أو كما قالوا، لأن أخبار الآحاد لا تقبل عندهم في هذه الأمور.

والرجم شرطه:

أولًا: الإحصان: والإحصان يتحقق بأمور من استجمعها كان محصنًا:

١- البلوغ.

٢- العقل.

٣- الحرية.

٤- وطءٌ مثله: أي الجماع في نكاح صحيح، فلو إن رجلًا بالغًا عاقلًا حرًّا تزوج مجنونة لا يُسمىٰ مُحصنًا، ثم اعكس لو أن امرأة بالغة عاقلة حرة تزوجها مجنون لا يُحصنها وهكذا، لابد أن تتحقق هذه الأمور الأربعة في الزوجين، رابعها صحة النكاح والوطء فيه، أي مجرد الملكة لا تحصن، مجرد الملكة دون جماع لا تحصن، رجل بالغ حر عاقل زوجوه صغيرة فنال منها كما ينال من الكبيرة، صغيرة عادة لا يأتيها الرجل فهذه لا تحصنه، لكن بعض الصغار تلفت النظر وتكون كأنها بنت عشرين فهذه قادرة علىٰ النيل منها.

قالت عائشة رضي الله عنها: «إذا بلغت الجارية تسع سنين فهي امرأة»(١).

هذا مشاهد، بعض البنات عمرها تسع سنين يخشىٰ عليها وليها من الخروج من البيت وحدها أليس كذلك؟ ومخالطة الأولاد ألا يخشىٰ عليها؟ أي تلفت النظر.

الشرط الثاني: البيِّنة أو الاعتراف.

والبينة: تكون إما بشهادة أربعة من المسلمين العدول يشهدون علىٰ أن ذاك من الرجل دخل في ذاك من المرأة نُكنِّي، والظاهر معروف عند الجميع،

---

(١) ت (١١٠٩)، هق (١٤٢٥)، أخبار مكة للفاكهي (٦١٨)، قال الألباني في الإرواء (٦/ ٢٢٦): ضعيف مرفوعًا والموقوف علقه البيهقي ولم أقف علىٰ إسناده.

«والنفاق هو الكفر: أن يكفر بالله ويعبد غيره، ويظهر الإسلام في العلانية، مثل المنافقين الذين كانوا علىٰ عهد رسول الله ﷺ».

المراد بالنفاق هنا: هو النفاق الاعتقادي لا النفاق العملي.

فالنفاق نفاقان:

نفاق اعتقادي: إظهار الإسلام وإبطان الكفر وله صور:

منها: تكذيب رسول الله ﷺ، أو تكذيب ما جاء به أو تكذيب بعض ما جاء به.

ومنها: بُغض النبي ﷺ، أو بُغض ما جاء به، أو بُغض بعض ما جاء به.

ومنها: المسرَّة بانخفاض دين الإسلام.

ومنها: كراهية انتصار دين الإسلام هذه صور النفاق الاعتقادي، وأنا أسألكم لو صرَّح بها فبما تحكمون عليه؟ أبغض النبي ﷺ صراحة، أو كذَّبه في بعض ما جاء به صراحة وهو يعلم صدقه ماذا تقولون فيه؟ كافر بأنه أظهر الكفر.

وإنما يكون منافقًا إذا أخفىٰ، في باطنه يُكذب محمدًا ﷺ يبغضه، يبغض ما جاء به، يكذب ما جاء به، يحب انخفاض دين الإسلام، يكره انتصار دين الإسلام، هذا في باطنه نقول: هذا منافق.

أما النفاق العملي: وهو أن يظهر الإنسان الحسن في المعاملة ويتعامل

بضد ذلك، وحاصل النصوص في هذه المسألة أن النفاق العملي خمسة أنواع هي:

الكذب في الحديث، وخلف الوعد، وخيانة الأمانة، والفجور في الخصومة، والغدر في العهد.

هذه خصال النفاق العملي وهو كبيرة من الكبائر، واعلموا أن النفاق الاعتقادي كان ظهوره بعد حادثة بدر وهي في رمضان من السنة الثانية للهجرة، وقد كان يوم كان رسول الله ﷺ بمكة صنفين لا ثالث لهما: مؤمن خالص وكافر خالص، وبقي الأمر علىٰ هذا الحال كذلك في المدينة حتىٰ كانت غزوة بدر فلما جاء البشير بنصر النبي ﷺ والمؤمنين إلىٰ أهل المدينة، قال ابن أُبي -رأس النفاق في المدينة أخزاه الله-: (أرىٰ أن هذا الأمر قد توجه)؛ أي: ظهر، انتصر، فأعلن هو وعصابته الإسلام مع بقائهم علىٰ الكفر في الباطن.

«وقوله: «ثلاث من كن فيه فهو منافق»[١].هذا علىٰ التغليظ، نرويها كما جاءت ولا نفسرها، وقوله: «لا ترجعوا بعدي كفارًا ضلالًا يضرب بعضكم رقاب بعض»[٢]..

ومثل: «إذا التقىٰ المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»[٣].

ومثل: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[٤].

ومثل: «من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما»[٥].

ومثل: «كفر بالله تبرؤ من نسب وإن دقَّ»[٦]، ونحو هذه الأحاديث مما قد صح وحفظ، فإنا نسلم له وإن لم نعلم تفسيرها، ولا نتكلم فيها ولا نجادل فيها، ولا نفسر هذه الأحاديث إلا مثل ما جاءت، لا نردّها إلا بأحق منها».

هذا المبحث يتضمن:

أولًا: موقف أهل السنة من نصوص الوعيد.

---

(١) متفق عليه، خ (٣٣، ٢٥٣٦، ٢٥٩٨، ٥٧٤٤)، م (٥٩).

(٢) متفق عليه، (١٢١، ٤١٤٣، ٦٤٧٥، ٦٦٦٩)، م (٦٥).

(٣) متفق عليه، (٣١، ٦٣٨١، ٦٦٧٢)، م (٢٨٨٨).

(٤) متفق عليه، (٤٨، ٥٦٩٧، ٦٦٦٥)، م (٦٤).

(٥) متفق عليه، خ (٥٧٥٣)، م (٦٠).

(٦) حم (٧٠١٩)، طس (٢٨١٨)، كنز (١٥٣٢٥، ١٥٣٦٨)، مجز (٣٤٨)، إبك (٩٨٢، ٩٨٤).

فإن مسلك أهل السنة في هذا الباب إقرار نصوص الوعيد على ظاهرها وعدم تأويلها، لأن ذلك أبلغ في الزجر وأوقع في النفس، هذا أولًا.

وثانيًا: التسليم لها والإيمان بها وقبولها.

وثالثًا: عدم تفسيرها إلا إذا جاءت نصوص أخرى تفسرها.

«والجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فرأيت قصرًا»[١].

و: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها...كذا»[٢]**، و: «اطَّلعت في النار فرأيت.. كذا وكذا».**

فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ، ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار».

هذا المبحث مما يجب الإيمان بما تضمنه من العقيدة في الجنة والنار.

وأهل السنة علىٰ هذا، ولم يحصل بينهم فيه خلاف، وإنما خالف الجهمية والمعتزلة ومن لفَّ لفَّهم، فهم يقولون أن الجنة والنار ليستا مخلوقتان الآن، قالوا: لأن خلقهما الآن قبل وجود أهلهما عبثًا، والله مُنزَّه عن العبث، هذه إحدىٰ حُجَجِهم، ولهم حُجّة أخرىٰ وهي الحديث الصحيح قال ﷺ: **«لقيني إبراهيم ليلة الإسراء أو قال: لقيت إبراهيم فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأن الجنة طيبة تربتها وعذب ماؤها، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»**[٣].

---

(١) خ (٣٤٧٦، ٤٩٢٨)، م (٢٣٩٤).

(٢) خ (٣٠٦٩، ٤٩٠٢، ٦٠٨٤، ٦١٨٠)، م (٢٧٣٧).

(٣) ت (٣٤٦٢)، طب (١٠٣٦٣)، طس (٤١٧٠)، طص (٥٣٩)، كنز (١٩٨٩، ١٩٩٠، ٢٠٣٩)، مجز (١٦٨٦٣).

فالجواب عن الحُجة الأولىٰ ما أشار إليه المُصنّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الأحاديث فالنبي ﷺ أخبر عن الجنة وعن النار، وأنه رآهما، وفيه حديث الكسوف قال: «**لم أر كاليوم قط فتقدم وتأخر**»(١)

فأخبر أنه تقدم لأنه رأىٰ الجنة قال: فلو تناولت بيدي فقطفت منها قطفًا لأكلت منه إلىٰ يوم القيامة، وتأخر لأنه رأىٰ النار، فهما موجودتان، وفي الكتاب الكريم قال الله -جلَّ وعلا- في الجنة أعدت للمتقين، وقال في النار أعدت للكافرين، ولا يقال: أعدَّ إلا لما هو موجود قبل الورود عليه.

وفي الحديث الصحيح: «**احتجت الجنة والنار.**

فقالت الجنة: ما لها فيها ضعفاء الناس ومساكينها؟!

وقالت النار: فيها كل جوَّاظ عُتلٍّ مستكبر؟!

فقال الله عَزَّوَجَلَّ لهما: قال للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء.

وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء، ولكليكما عليَّ ملؤها»(٢).

ويجاب عن الحجة الثانية: أن كونها قيعان كما في صحيح الخبر، ولكن الحديث يدل علىٰ وجود الجنة، وأن بناءها يكون بالأعمال الصالحة كما في صحيح مسلم أظنه عن أم حبيبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) متفق عليه، خ (٦٠٠١، ٦٦٧٨)، م (٢٣٥٩).

(٢) متفق عليه، خ (٤٥٦٩، ٧٠١١)، م (٢٨٤٦).

«ما من عبد مسلم يصلي لله كل ليلة ثنتي عشرة ركعة تطوعًا غير فريضة إلا بنا الله له بيتا في الجنة». نسأل الله الكريم من فضله.

فالجنة بناءها يكون بالأعمال الصالحة وبناءها وغراسها وقصورها تكون بالأعمال الصالحة.

«ومن مات من أهل القبلة موحدًا يُصلىٰ عليه، ويستغفر له، ولا يحجب عن الاستغفار، ولا تترك الصلاة عليه لذنب أذنبه -صغيرًا كان أو كبيرًا- أمره إلىٰ الله تعالىٰ».

آخر الرسالة.

والحمد لله وحده وصلواته علىٰ محمد وآله وسلم تسليمًا.

نحن قلنا في مستهلِّ هذه الجلسة أن أهل القبلة من يصلون إليها وقلت لكم حين ذاك سيأتي قيد، وهذا هو القيد، فإن من يُصلي إلىٰ القبلة قسمان:

قسم يصلون إلىٰ القبلة: وهم أهلها حقًّا، وهم أهل التوحيد فهؤلاء هم الذين عناهم المُصنّف، فإنهم يُصلىٰ عليهم، ويُستغفر لهم، ويُدعىٰ لهم، ويُتصدق عنهم وإن كانوا فُساق فُجار ما دام أنه علىٰ التوحيد ما عدا من ترك الصلاة فقد عرفتم الكلام فيه أمس.

الثاني: من يُصلي إلىٰ القبلة وليس من أهلها لأنه مشرك شركًا قامت عليه الحجة فيه، وهو معاند فهذا، وإن كان يُصلي إلىٰ القبلة فإنه ليس من أهل القبلة حقيقة، هذا كافر ما دام أنه مشرك شركًا عن علم ويقين بلغته الحجة الرسالية فيه وأبىٰ الحقَّ واستنكف عنه، فهو كافر حلال الدم ولا ينفعه صيامه ولا صلاته ولا حجَّه ولا أي عمل يعمله.

بهذا القدر تنتهي هذه الرسالة، ونسأل الله لنا ولكم علمًا نافعًا يرفع الله به درجاتنا عنده في الدنيا والآخرة.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

ونسأل الله ألا يكون آخر العهد بكم، نسأل الله أن يجمعنا بكم جميعًا في دار كرامته كما جمعنا بكم علىٰ طاعته.

المحتويات